موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى

بلدة
برقة_نابلس

الباحث :

أ. مروان الماضي

2023م

بلدة برقة- نابلس

الباحث

مروان الماضي

بسم الله الرحمن الرحيم

تـدقيـق لـغوي: عـلاء الـديـن نمر

تنسـيق وتنضيد: عبد القادر الحمرة

تصميم الغلاف: محـــمـد الـدلـو

بلدة برقة نابلس

الأستاذ: مروان الماضي

تقديم

أ.د شكري عزيز الماضي

حقوق النشر محفوظة لصالح موسوعة القرى الفلسطينية©

2023

الإهداء

أجيال فلسطين والعرب أجمعين نذكرهم بأهمية فلسطين

فلسطين هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الآذان وتتكحل به الجفون والعينان، تهفو له القلوب، وتترنم بهوائه المشاعر، والقلوب تبكي لفراقه وعيون المهاجرين تتفطر لاحتلاله الباقين والمبعدين من أصحابه عرب فلسطين.

لم تمضِ ثانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام 1917 حتى عامنا هذا 2017) إلا ويذكر اسم فلسطين فيه، أجواء الكون تحمله موجات الأثير المسموع منها، والمرئي، والمقروء حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس.

لماذا كان لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

1) موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا مع أفريقية).
2) إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي.
3) تتميز تضاريسها بساحل طوله 240 كم يطل على البحر الأبيض المتوسط، وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.
4) فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات، وأشجار برية، وزراعات من حبوب، وبقول، وأشجار مثمرة من كل الأنواع كروم، وزيتون، وتين، ولوزيات، وحمضيات وهي أرض السمن والعسل.
5) فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج بالجرمق وكنعان بصفد، وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت –435م تحت سطح البحر.
6) هي مهبط الأديان السماوية (يهودية– مسيحية– مسلمون).
7) تمازجت فيها الحضارات القديمة مصرية، كنعانية، بابلية، آشورية، كلدانية، وآمورية، ويونان، وروما، وفرس، وغيرهم.
8) عبرتها الجيوش الجرارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركتي عين جالوت وحطين.
9) التقت فيها البضائع والسلع من الكتان، والسكر، والقطن المصري مع التوابل الهندية، والبن والصمغ اليمني، والتمور العراقية، والبروكار الحريري الدمشقي، والسجاد الفارسي، والزجاج الخليلي، والأصبغة الفينيقية.

مقدمة الناشر

أسست أكاديمية دراسات اللاجئين مطلع العام 2021 مشروع "موسوعة القرى الفلسطينية"، وهو مشروع بحثي توثيقي أسسه فريق من خريجي الأكاديمية المؤمنين بحتمية العودة وتحرير الأرض، يهدف مشروعنا لخلق جيل واعٍ بحقه وتاريخه، وعي معرفة علمية أكاديمية بعيداً عن مشاعر الحنين والألم التي رافقت تاريخنا الطويل في صراعنا مع الصهاينة الذين يدعون أحقيتهم في أرضنا التي نسكنها ونعمرها منذ آلاف السنين، هدفنا خلق روح الحنين لدى الجيل الشاب للقراءة ومن ثم الكتابة العلمية والأكاديمية عن قريته، استناداً لما يحصل عليه فريقنا من معلومات ووثائق ودلائل تاريخية تشير لحضارة وعراقة وطننا الحبيب بمدنه وقراه وأحيائه وساحاته.

بارك مشروعنا هذا كوكبة من الباحثين والمؤرخين والمختصين في تاريخ وجغرافية فلسطين، وكان الباحث والمؤرخ الأستاذ "مروان الماضي" أبرزهم، إذ اختصنا في إصدار سلسلة من أبحاثه القيّمة والتي تزيد عن مئة قرية فلسطينية، وكان بحثه عن قرية إجزم "إجزم الحمامة البيضاء" منطلقاً لسلسة أعماله التوثيقية هذه، واليوم نتشرف بإصدار هذا البحث المميز أيضاً، والذي عنونه باسم "برقة– نابلس"، حيث سيأخذنا الأستاذ مروان الماضي في رحلة مشوقة لهذه البلدة الجميلة بجغرافيتها، وتاريخها وثقافتها وحياة أهلها الاجتماعية والثقافية، نشكر للأستاذ مروان، ولجميع الباحثين والمؤرخين مشاركتهم أعمالهم وأعمال غيرهم عن قراهم، ونتمنى لكم قراءة ممتعة ومفيدة.

نرحب بمشاركاتكم ومقترحاتكم، وتقبلوا منا كل الاحترام والتقدير، فريق موسوعة القرى الفلسطينية وعنهم: رشا السهلي

2023/2/20

تقديم

عندما يُذكر اسم مروان الماضي يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة، استثنائية من حيث الثقافة الواسعة، والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات، وامتلاك أدوات البحث، والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة. ولهذا كله أو بسبب هذا كله عددت اهتماماته: فهو الأديب، الكاتب، المؤلف، المثقف، الملتزم، المعلم، والتربوي الكبير...الخ. لكنها كلها اهتماماتٌ تصب في بوتقة واحدة: بوتقة محبة الوطن فلسطين، ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلةً أمام عينيه، تستحوذ على فكره وعقله وأحاسيسه. ويدرك الأستاذ مروان "أن الوطن " فلسطين قد تعرض لأبشع صور الاستعمار، الاستعمار الاستيطاني له أيديولوجية خاصة؛ وهذا فرض ممارسات استعمارية؛ مثل إزالة القرى من الوجود، ومحو الأسماء، وطمس المعالم، وسرقة الآثار، وتشويه التراث، وتزييف الوثائق، ونفي الهوية الوطنية، وإفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين وأصبح الصراع صراعَ وجود.

وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة، ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض، على اعتبار فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية ماضيها وحاضرها ومن ثم مستقبلها، ولهذا اختار نسقاً خاصاً في الكتابة يتمثل في:

كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية، وهو نسقٌ خاصٌ في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة، وإجلاء الوثائق يهدف إلى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية، وجعلها حيةً متوهجةً وفاعلةً على الدوام، ولهذا فإنّ كتاباته تندرج في إطار واجهة ومجابهة الممارسات الصهيونية؛ أي تندرج في إطار أدب المقاومة إذا استخدمنا كلمة أدب بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة وهي مهمةٌ وطنيةٌ وملحة في محاولات التذويب والطمس والنفي كلها فرضت كتابةً تتصف بالشمولية، وعندما يكتب عن مدينة أم الفحم مثلاً نراه يبدأ من التسمية، والموقع الجغرافي، ثم ينتقل إلى البعد التاريخي للغزوات والتضحيات ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وأدواتها، وعلى الحياة الثقافية وما تطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم والمؤسسات، والمراكز الثقافية ودورها في إحياء التراث، وحماية الهوية الوطنية من الذوبان، إلى الفلكلور من غناءٍ ودبكات، إلى مقاومة الظلم، وإبراز التضحيات في سبيل الوطن. وكل هذه المحاور ترصّع بالصور والخرائط والبيانات الأخرى. ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي إلى:

1) تأكيد الحق للفلسطينيين عبر التاريخ.
2) تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية.

3) الحفاظ على كل شيءٍ (إحياء اللهجة والعادات، وكلُ شيءٍ يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها).

ولا أريد هنا أن ألخص للقارئ ما كتبه المؤلف؛ لأني حريصٌ على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف؛ حتى يشعر حرارة الإخلاص بالحسِّ الوطني الصادق بالتماهي مع المكان، وناسه، وتاريخه، ويمنح العلم والمعرفة همة بارزة، وبأيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين، وبدعوةٍ خفيةٍ لتوحيد الجهود، وتكاثف الجميع في سبيل تحسين العالم أجمل عالم بمحاربة التمييز والقهر لتسود قيم الحرية والعدالة والمساواة.

تحية للأستاذ مروان الماضي معلماً، ومثقفاً، وأديباً، ومؤلفاً، وإنساناً؛ الذي حاول أن يثبت وقد أثبت فعلاً أن محبة العلم ومحبة الوطن تحدّهما السنوات ولا ينال منهما الزمن.

أ.د شكري عزيز الماضي

مقدمة

لقد جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني من دخولهم أرض فلسطين، واستخدموا كل الأساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص، فأقاموا المستعمرات المغلقة وبشكل خاص المزارع الجماعية (كيبوتز وموساف)، واستطاعوا بناء 50 مستعمرة حتى عام 1935م، واستمروا في تحويل الأراضي فيها لمصلحتهم، ثم أخذ عددها ينمو ويتطور، وكانت هذه المستعمرات هي التشكيل الأساسي لتنظيم زراعي اجتماعي عسكري ليصبح وسيلة فاعلة من وسائل التحدي للمقاومة العربية، وتكوين مجتمع قادر على حماية نفسه في ظل الخوف الذي جلبه لنفسه من المقاومة العربية. وقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوة والمسافة الاجتماعية، وزيادة العداء بينهم و بين سلطة الاحتلال والعرب، وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب أرض فلسطين والغزاة الأغراب الذين جاؤوا ليجعلوا صاحب الأرض غريباً في أرضه.

إن المجتمع الغربي الأوروبي الأمريكي ثم الروسي، الذين اشتركوا في زرع إسرائيل وسط بحر من العرب الذين يحاربون الوحدة، ويرضون الخنوع حتى للبغاث الذي يجعلوه نسراً في بلادنا، وحولوا ديارنا نهباً للطامعين حتى باتت جيوشنا تدمر بيوتنا عوضاً عن حمى الوطن وليس على عدو افتراضي. هل حماس الولايات المتحدة الأمريكية في مساعدة إسرائيل ومناصرتها ظالمةً كانت أو مظلومة رغم تحديها للمجتمع الدولي حتى أصبحت عبئاً على حلفائها؟ هل وقوف الغرب الاستعماري وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة إسرائيل هل هذا الحماس هو حباً باليهود، أم كرهاً للعرب؟

والجواب عندي هو أن زعماء الصهاينة المفسدون في الأرض إفساداً سرمدياً سيكون سلوكهم مدمراً لهم، بعد أن وصلوا إلى ذروة من الأمل في قوتهم وتباهيهم بما حققوه من طموحات، وإذا لم يعترفوا بظلمهم للعرب فإن الميزان ليس مستقراً في العالم، وسيكون دمارهم على يد من صنعهم، وسيعودون قردة خاسئين إن لم يؤمنوا بالسلام بإقامة دولة علمانية منفتحة تعي السلام مع إخوانهم العرب أمة للمتقين.

(المؤلف)

الفصل الأول

لـمـحـة جغـرافـيـة

الموقع وأهميته

بلدة عربية تبعد مسافة 18كم إلى الشمال الغربي من مدينة نابلس، تشرف على الجانب الشرقي لطريق نابلس- جنين الرئيسة المعبدة، تربطها طرق فرعية معبدة سبسطية- الفندوقية- جبع- وسيلة الظهر وبزارية- وبيت- ونصف جبيل والناقورة.

نشأت قرية برقة على التلال التي تمثل الأقدام الجنوبية الغربية لجبلي أبو زيد (724م) والقبيات (668م). وتبدأ من جنوبها مباشرة المجاري العليا لبعض الأودية الرافدة للوادي الشمالي الذي يتجه نحو طولكرم باسم وادي البرج.

تبلغ مساحة أراضي برقة 18.688 دونمًا، منها 294 دونماً للطرق والسكك الحديدية والأودية، تزرع أراضيها بالحبوب والخضر والأشجار المثمرة، وتستغل بعض أراضيها للرعي وتربية الماشية. وتعتمد الزراعة على مياه الأمطار والينابيع على السواء؛ إذ تتوافر الينابيع حول برقة وفي البلدة بعض المصانع الصغيرة لعصر الزيتون ومنتجات الألبان.

تطور عدد سكان برقة مع الزمن حسب الجدول الآتي:

العام	عدد السكان
1922	1688 نسمة
1931	1890 نسمة
1945	2590 نسمة
1961	3352 نسمة
1980	8000 نسمة

اتسعت رقعة البلدة بفعل النمو العمراني فازدادت مساحتها من 173دونمًا عام 1945 إلى أكثر من 600 دونمًا عام 1961.

التسمية

تعني كلمة برقة باللغة العربية التلون في وجود الحجارة الملونة في أراضيها، وقد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) وأن هناك أكثر من 100 كلمة في الجزيرة العربية سميت بهذا الاسم قبل الميلاد ولا زالت تحتفظ بهذا الاسم، وقد تعرضت الآثار فيها إلى زلزال دمر أكثر الأبنية فيها، وهو الزلزال الذي أصاب فلسطين في القرن الحادي عشر ميلادي، ويقدر عدد المهاجرين عنها 30 ألف نسمة مشتتين في الدول العربية المجاورة والأجنبية. تبلغ مساحة أراضي برقة 18,486 دونمًا، منها 294 دونمًا للطرق والسكك الحديدية والأودية، وتستغل بعض أراضيها للرعي وتعتمد الزراعة على مياه الأمطار الشتوية إلى جانب الينابيع المحيطة بالبلدة.

تسود المراعي في أراضيها وتكثر الأحراج المتوسطية المعروفة بأشجار الماكي؛ ولأهمية هذه الأشجار التي تعرضت للحرق والتقطيع أذكر منها النباتات الطبيعية الطبية وفوائدها وهي:

النباتات الطبيعية والطبية في بلدة الرامة: تعتبر أراضي البلدة نموذجاً أصيلاً للنباتات والحيوانات الطبيعية والمدجنة فيها، ورغم أن الإنسان قد دمر قسماً كبيراً منها مع الزمن فإن المنطقة لا تزال تحتفظ بقسم كبير من هذه النباتات والحيوانات، وقلما تجد تلة من تلالها إلا وفرشت أرضها ببساط أخضر دائم الخضرة ويمكن إيجاز أهم النباتات الموجودة في المنطقة مع خصائصها:

- **البلوط**: ويشكل تجمعات شجرية واضحة، السريس والسنديان ينتشران بشكل واسع في جميع المرتفعات المحيطة بالبلدة تتبعها أشجار الخروب والزعتر والنتش والزوفا والميرمية والشومر كما يتواجد العليق والسرو في أماكن عدة.
- **الدفلة**: وهي شجرة دائمة الخضرة توجد في مجاري الأودية والأماكن الرطبة إذ تعتبر شديدة السمية للإنسان والحيوان وتؤدي بذورها إلى الغثيان وانخفاض النبض وتدخل مستحضراته كمقوية للقلب.
- **العرعر**: فصيلة سروية يستخدم في الطب وتجمع ثماره في الخريف عندما تصل مرحلة النضج، فتجفف في الظل وتهوى وتدخل في تركيب الأنواع المدرة للبول، وتفيد كمقشعة وتعالج الالتهابات التنفسية وتطهرها وتعالج الرشوحات ومرض الملاريا، وفاتحة للشهية.
- **البابونج**: نبات عشبي، تجمع النورات في فترة الإزهار الكامل، ثم تجفف بالظل ضمن تهوية جيدة، وتستعمل ضد الالتهابات وهي مطهرة تدخل في معالجة الجهاز الهضمي والتهاب الأمعاء ثم القصبات والسعال والربو. ويرافق السعتر له رائحة عطرة. وتستعمل أوراقه كمادة قابضة ومضادة للالتهابات وبشكل خاص الحلق واللوزات والأغشية المخاطية، تؤخذ بشكل منقوع في التهاب الرئتين والأمعاء والكبد والصفراء، ويستعمل المنقوع أيضاً لغسل الرأس في حالات تساقط الشعر.

- **الهندباء والخبيزة:** وهي من النباتات الحولية تكثر في البراري وأطراف الأودية، وتقطف أوراقها وتطبخ على أشكال مختلفة وهي غذاء أساسي للناس في موسمها، كما أن الهندباء تغلى ويدخل منقوعها في معالجة الرمل ومطهر للجراثيم وكذلك بالنسبة للسعتر.
- **الخلة:** وهو نبات عشبي حولي وساقه عارية مستقيمة أسطوانية الشكل، يستعمل بشكل مرهم لمعالجة رضات الجلد إلى جانب التهاب الكلى والمجاري البولية لأنها توسع الأوردة.
- **شجر الخروب:** يكثر شجر الخروب في المنطقة وبشكل خاص على سفوح المرتفعات، وقد اعتاد الناس في القرية جمع كميات من ثمار الخروب ويحفظونها في أماكن خاصة حتى تجف، ثم يكسرون القرون بالمدقات ويضعونها في أوعية واسعة ضخمة تسمى (الدست)، ويغمر الخليط بالماء يوماً كاملاً حتى يذوب السكر ويصبح الماء حلواً، ثم يفرك الخليط ويطرح خارج الوعاء، ويجفف الخليط ويستخدم وقوداً للطوابين. ويستفاد منه لغذاء الحيوانات بخلطه مع مواد أخرى. أما الماء في الدست يغلى حتى يصير لزجاً وتزداد حلاوته ويتحول لونه إلى الحمار ثم إلى اللون الأسود، ويدعى دبس الخروب أو (الرب). ويعتاد أهل القرى في فلسطين أكلها و تموين بيوتهم بخزن هذه المادة لتكون عوناً لهم في الطعام. وأحياناً يؤخذ السائل قبل غليه ويضاف إليه الثلج ويباع في الأسواق للمارة مثل شراب السوس، والملفت للنظر أن أوراق شجر الخروب الغضة تحوي على مواد قلوية بشكل قوي، فقد كان العمال الذين يقطفون ورق التبغ يستخدمون هذا الورق في تنظيف أيديهم التي التصق بها غراء ورق التبغ ولا تُزال بالصابون العادي سوى بورق الخروب.
- **شجر الزيتون:** ينتشر الزيتون بشكل واسع في منطقة مجد الكروم والجليل، تجمع ثمار الزيتون في أيلول حتى أواخر تشرين الثاني، وكانت تستخدم الطرق القديمة على ضرب أغصان الزيتون لينزل الثمار بواسطة العصي الطويلة، ويؤخذ ثمر الزيتون ويجمع في أوعية خاصة وينقل إلى المعاصر, وهناك معاصر قديمة مؤلفة من حوض دائري وعليه حجر كبير دائري بشكل الدولاب يديره حيوان، ويعبأ الزيتون بعد هرسه في قفف مصنوعة من سيقان نباتات القصب على شكل دواليب، وتوضع القفف بعضها فوق بعض تحت لولب (مكبس) وزنه أكثر من طنين فيضغط اللولب على القفف فيسيل الزيت إلى مستودع في الأسفل يسمى (بئر البدود). وفي البلدة ثلاث معاصر زيتون ولا تختلف المعاصر الحديثة عن المعاصر القديمة إلا أنها تدار آلياً عن طريق المحركات التي تعمل على الوقود (السولار أو الكاز). ثم تجمع في براميل. وقد جرت العادة عند الفلاحين بخزن الزيت كل عام بأواني فخارية كبيرة الحجم تدعى (الزلعة) أو في جرار، وأغلبها يُطلى بطبقة من البورسلان، والمعصرة الآلية في البلدة يسمونها البابور.
- **الصبار:** يشكل حزاماً يلف بعض الحواكير (قطع من الأراضي)، ويعطي هذا النبات ثمراً لذيذ الطعم، حلو المذاق يلتقط بواسطة الأيدي، واعتاد الناس التقاط الثمار بواسطة كلابات والأقماع المعدنية المثبتة على عصا طويلة, ويستطيع أي إنسان جمع ما يريد

من ثمار الصبار دون حسيب أو رقيب، وتعتبر أحزمة الصبار لحدود الكروم سياجاً تحمي مزروعاتهم من تطفل الحيوانات والرعي، كما تعتبر عصارة ألواح الصبارة مادة قلوية لالتئام الجروح.

- **الحمضيات:** ينتسب هذا النوع من الشجر عدد كبير من النباتات (الليمون- البرتقال- اليوسفي- المندلينا- والجريب فروت- والكباد.. الخ)، وتجود زراعة أشجار الحمضيات على سفوح التلال ومنخفضاتها تتزين أراضي شعب وبشكل خاص في فصل الربيع ببساط أخضر بنباتات متعددة ومتنوعة؛ مثل النرجس وشقائق النعمان، بينما تنطلق روائح الأزهار وتملأ الجو رائحة زكية عطرة، تنعش القلوب، وتثلج الصدور، بينما تنقل الرياح هذه الروائح إلى مسافات بعيدة وعلى حواف الوديان تنمو أشجار الدفلى وهي تلبس أزهاراً وردية ملوحة بالأبيض تصدر روائح عطرة، تجذب النحل من أماكن بعيدة يتغذى برحيقها الفواح.

وقد اعتاد السكان في البلدة زراعة بعض النباتات الزهرية في بيوتهم إما بشكل حدائق صغيرة الحجم أو بأصيص أوفي أواني متنوعة، فيزرعون القرنفل والريحان والخبيزة العطرة. وبعد أن سلب الاحتلال الأراضي عوّض المزارع في البلدة ومناطق القطع فقدان أراضيهم الزراعية بزراعة الورود بالبيوت البلاستيكية، وتفننوا بتوضيبها وشحنها لأوروبا كمادة تجارية رابحة جذبت حب الأوربيون وتقديرهم لهذا الإنتاج المتميز من الأزهار والورود.

وبعض الأسر كانت فيما مضى تستخدم طحين الذرة في طعامها، ويقال عن رغيف الذرة البيضاء الكراديش.

الحيوانات البرية: إن طبيعة أراضي المنطقة من أراضي ومناخ وتباين في التضاريس هيأت بيئة صالحة لوجود أنواع كثيرة من الطيور والحيوانات البرية، وقد استطاع العلماء تصريف الكثير من هذه الحيوانات التي كانت تعد بالمئات، وقد انقرض أكثرها منها الآن ومع ذلك فإن بعض منها لا يزال موجوداً بنسب متفاوتة منها على سبيل المثال:

- **طيور الحجل والشنار:** وتعيش في المرتفعات الأحراش بين أشجار السريس والسنديان، وكانت هذه الطيور تجذب الصيادين وكان بعض الصيادين يأخذون فراخها ويدجنوها في البيوت ضمن أقفاص، ولحم هذه الطيور هو الأفضل بين الطيور.
- **الرقطي والقطا:** يشبه الرقطي الحمام تماماً ويقال عنها إستيتية لها ريش مرقط حول عنقها جميل المنظر حقاً، لها صوت عذب عندما تصدح باكراً، تبني أعشاشها فوق أشجار الزيتون، وكان الصبيان يأخذون فراخها من أعشاشها لذبحها أو بتربيتها في الأقفاص. أما القطا فهو طير موسمي مهاجر يكثر في المناطق السهلية الرطبة، لحمه قاس، ومع ذلك يلاحقه الصيادون من مكان إلى آخر بغية قنصه.

- **الزرزور**: من الطيور الموسمية المهاجرة تأتي في أوائل الربيع بأعداد كبيرة، حجمها متوسط، ولحمها طيب يلاحقها الصيادون ويجمعون منها الكثير وتباع للمطاعم.
- **السمن والفريُ**: وهو مقيم في كثير من الأحيان ويعيش بين جذوع الشجر الملتف، ويتم تكاثره باستمرار رغم مطاردة الصيادين عن طريق الصيد بالبارود والفخاخ والنقيفات، وهذا الطير متوسط الحجم لحمه لذيذ الطعم.
- **الزرعي**: ويشبه طير السمن لكنه يعيش بين الزرع والأراضي المحروثة، وأغلب صيده يتم عن طريق الفخاخ.
- **الهدهد**: طير موسمي يكثر في الربيع والخريف جميل المنظر له قنبرة على رأسه تتوجه، صيده غير محبب لقلة وجوده أولاً، ثم لاتجاهات دينية ثانياً، وهناك من الطيور الشائعة مثل: البلابل والدوري والكركس والآمي والسنونو. الخ. وهناك الطيور الجارحة مثل (الصقور والبوم والغراب...).
- **الحيوانات البرية والزواحف**: توجد مثل هذه الحيوانات (الضباع والثعالب والواوي والذئب وغيرها) بأعداد قليلة بسبب ملاحقتها وإبادتها عبر الزمن، كما حرمها الإنسان من الأمان وجار عليها. ومن الحيوانات الأرضية (الأفاعي والخلد والجربوع والقنافد لخلد والسحالي والسلاحف والحراذين).

ومن الحيوانات البرية والتي يؤكل لحمها الغزلان والأرانب.

الماعز: وهي تعيش في بيئة صالحة في المدجنة، وكانت كلاب ترافق الرعيان مع مواشيهم للماعز منها مراعي في جو مناسب وطعام متوفر بشكل كبير في أراضي مجد الكروم؛ لكثرة لمراعي في السهل والجبل والشجيرات المبعثرة في الهضاب ومنحدرات الجبال، والماعز بحاجة ماسة إلى تسلق الشجيرات لأكل ما طاب له لذلك نرى أعدادا منها تسرح وتمرح في أراضي البلدة.

الأغنام: وتأتي الأغنام بعدها، وقد اختصت بعض الأسر بتربيتها، ويستفاد من حليب الأغنام والماعز في صناعة الأجبان والزبدة والسمن، وتدر على أصحابها المال الوفير ولم أعثر على المعلومات التي تقدر عدد المواشي في مجد الكروم منذ زمن بعيد. إذ حملت جمالهم المعدات الحربية والمؤن للمعسكرات إلى جانب الذخائر والجنود هذا في الحروب، وأثناء السلم تحمل البضائع التجارية من مكان لآخر. وظلت المواصلات قائمة حتى اليوم، فالسيارات على أنواعها تمخر بواديها ليل نهار تعد بالمئات يومياً، والحركة مفعمة بالنشاط وبشكل خاص عندما تبدلت وتطورت من قرية متواضعة إلى بلدة حديثة تتمتع بكل مقومات البلدات.

الحمير والخيول والبغال: لقد قل عدد هذه الحيوانات هذه الأيام واستبدلت بالسيارات والعربات التي تعمل بالوقود، وبقي منها عدد قليل يوظف في الركوب وحمل الأثقال في مناطق لا تصل إليها الآليات من مرتفعات وطرق عسيرة، ويستخدم بعضها في حراثة الحواكير والأراضي العالية والمصاطب.

الأبقار: وتعتبر الأبقار من أغنى الثروات الحيوانية في بلدة مجد الكروم وقد حاول البعض بناء الحظائر النموذجية وحظائر عصرية تجمع بين الأبقار الأهلية والأجنبية، وتبقى ترعى في مزارعها الخاصة، ويقدم لها العلف في حظائرها لتعطي وتجود بحليبها بكميات لم يعرفها الفلاح من قبل، وكلما تطورت العناية في التربية كلما زاد الإنتاج جودةً وقيمةً وهذا متوفر لدى بعض السكان في البلدة.

النحل: ساعدت الظروف المحلية الطبيعية منها والبشرية من جودة مناخ، وكثرة أشجار، كلها ساعدت على وجود الإنسان في بقاع فلسطين منذ قديم الزمان، وقد اشتهرت بلادنا فلسطين بتربية النحل زمن الكنعانيين إذ كتب عنها طبيب فرعون المصري سنوحي عندما هرب من الفرعون الجديد إلى فلسطين وسكنها وتزوج كنعانية، ووصف كرم أهلها وخيرات أرضها وقال عنها: أنها أرض الخمر والعسل. وقد اهتمت بعض الأسر من أهل البلد بتربية النحل بالطرق القديمة، وقد تطورت الآن إلى أساليب حديثة تدر أموالاً على أصحابها إن العسل المنتج أيضاً يضاف لها.

الدواجن: إن طبيعة الحياة الريفية البسيطة ساعدت الفلاح على الاهتمام بتربية الدواجن منذ زمن بعيد لسد حاجاته من لحم وبيض، ولم يكن بحاجة لشراء هذه المواد طيلة العام وكان إنتاجه من هذه المواد يزيد عن حاجته في غالب الأحيان، فيبيع البيض والحمام والأرانب إلى باعة متجولين يأخذونها إلى أسواق المنطقة في المدن أو عن طريق المقايضة المحلية. لقد كان الفلاح في بلدة مجد الكروم وضواحيها يعتمد كلياً في طعامه على الحمام، ولم يخل بيت في البلد من طيور الحمام التي كانت تكفيه من لحوم أفراخها (زغاليل) المشهورة بلذة طعمها في طبخات متنوعة (الملوخية, شوي, ومحشية بالرز, مقلية تغطى على رز المنسف) كما يدخل الحمام وفراريج الدجاج في المسخن (المحمر)..الخ، وعلى هذا كان الإنتاج الحيواني يكفي حاجة السكان والفائض يعد للتصدير. أما الحليب فقد اعتاد الناس في البلدة وبشكل خاص أصحاب المواشي إذ يحولونه إلى ألبان (جبنة, لبن مجفف, زبدة, سمنة) ويصدر الباقي إلى أسوا ق عكا، إذ تدر على أصحابها المال الوفير لشراء ما يلزم من معلبات وسكر وقهوة وألبسة ونفقات أخرى لتحسين حياة أسرته.

لقد اتسعت رقعة البلدة بفعل نموها العمراني فازدادت مساحتها من 173 دونماً عام 1945م إلى 600 دونماً عام 1980م، ويسير نموها في اتجاهين أحدهما غربي نحو طريق نابلس جنين، وثانيهما جنوبي بمحاذاة الطريق المؤدية إلى سبسطية ونصف جبيل بيت أمرين.

حاول الصهاينة التحايل على السلطة العثمانية وإقناعهم بشراء أراضي في فلسطين من أجل توطين المهاجرين اليهود، لكن السلطان العثماني أصدر فرماناً يحرم بيع أي شبر لليهود تحت طائلة العقاب، كما أنه رفض كلياً الإغراءات التي قدمها له "هرتزل" ومع ذلك فقد استطاع الصهاينة شراء أراضي وإقامة ست عشرة مستعمرة.

المشكلة اليهودية وتخريب وحدة العرب وإضعافهم بوجود عدو مستديم يمنع توحدهم ويجبرهم على شراء السلاح، ونهب أموالهم، وتدمير ما بنوه بأموال البترول الذي حولوه نقمة بدل أن يكون نعمة، وقد اتبعت الصهيونية كل الأساليب لانتزاع أرض فلسطين من أصحابها، ولجأت إلى التحايل وكل الأساليب الغير أخلاقية؛ منها على سبيل المثال خلق وسطاء من قناصل الدول لشراء الأراضي بأسمائهم ثم تحويلها إلى اليهود، وقد سبق للسلطان عبد الحميد أن أصدر فرماناً عام 1886م يحذر فيه بيع أراضي في فلسطين لليهود. وإليك عزيزي القارئ ما ابتاعته الصهيونية من أراضي بنت عليا المستعمرات التالية[3]:

1- إبتاح تكفا: ومعناها (باب الرجاء) أقامها الصهاينة عام 1881م على أراضي ملبس قرب يافا، وعلى قسم من الأراضي البالغة عشرة آلاف دونماً اشتراها الصهاينة من مالكها اللبناني(تيان).

2- ريشون ليتسيون: أقامها الصهاينة عام 1881م على أراضي (عيون قارة) العربية، وتبلغ مساحتها 2340دونماً حجزتها الحكومة التركية وعرضتها للبيع بالمزاد العلني بسبب عجز أهلها أصحابها العرب عن سداد الضرائب للحكومة التركية، فحاول مهاجر صهيوني من الروس (ليغونتين) شراءها، لكن الحاكم العسكري التركي رفض استناداً إلى قرار السلطان بمنع بيع الأراضي في فلسطين لليهود، فقام القنصل البريطاني في يافا وهو الحاخام أمزيبليغ بشراء تلك الأرض من الحكومة بصفته قنصلاً بريطانياً بسعر 15 فرنكاً للدونم الواحد، وقام بعد ذلك بتحويلها إلى الصهاينة وأقاموا عليها مستعمرتهم ريشون ليتسيون.

3- مستوطنة روشبينا: أقامها الصهاينة على قطعة أرض يملكها يهوديان من يهود صفد فريدمان وفشتاين من ضمن أراضي قرية الجاعونة سبق أن ابتاعها من مالكها اللبناني، ثم باعها إلى روتشيلد عام 1882م حيث أقام عليها 50 عائلة من مهاجري رومانيا.

4- زخرون يعقوب: (زمارين) أقيمت عام 1882م على قطعة أرض مساحتها 5000 دونماً اشتروها من أحد المستثمرين الفرنسيين، وتقع أراضيها على جبل الكرمل الجنوبي لحيفا، وكان الفرنسي يزرعها بالعنب للتصدير إلى معامل الخمرة، وتم بيعها عن طريق القنصل الألماني والنمساوي يدعى إميل فرانك، وكان إلى جانب كونه قنصلاً كان وكيلاً للسفن البريطانية التجارية في الموانئ العربية . وزخرون يعقوب هذه سميت على اسم جيمس يعقوب روتشلد ترتفع عن سطح البحر زهاء 170متراً.

5- مستوطنة نس تيونة: أقامها الصهاينة عام 1883م على مساحة 2000دونماً من سهل الحولة اشتروها من قنصل فرنسا ووكيل القنصلية في صفد ويدعى يعقوب عبو، وسبق له أن ابتاعها من مالكها اللبناني (تيان)، وأقام فيها مهاجرين من بولونيا.

6- مستعمرة المطلة: أقامها الصهاينة عام 1883م على أراضي قرية عقرون قرب يافا، واشتروا أراضيها من مالكها اللبناني (تيان).

7- مستعمرة عكرون: (مركز بيت بانيه) أقامها الصهاينة عام 1883م على أراضي مقرون قرب يافا، واشتروها من مالكها اللبناني (تيان).

8- مستوطنة غدير: أقاموها عام 1884م على أراضي قرية قطرة قضاء الرملة، اشتراها القنصل الفرنسي في يافا.

9- مستوطنة مائير طوقيا: أقامها الصهاينة عام 1887م قرب يافا، واشتروا أرضها من مالكها اللبناني (تيان).

10- مستوطنة شلومو: أقاموها عام 1889م على نفس الأرض التي أقاموا عليها زخرون يعقوب، والتي اشتراها المالك الفرنسي جنوب حيفا على الكرمل.

11- مستوطنة الخضيرة: أقاموها عام 1890م على أراضي الخضيرة العربية على ساحل جنوب حيفا.

12- مستوطنة شافية: أقاموها عام 1889م على أراضي زخرون يعقوب.

13- مستوطنة دحقوت: أقاموها عام 1890م، اشتروها من مالكها اللبناني (تيان) جنوب حيفا.

14- مستعمرة مشمار هياردن: اشتروها من ملاكها اللبنانيين قرب الحدود السورية الشمالية مع فلسطين عند جسرينات يعقوب.

15- مستوطنة سوتا تحتين: أقيمت عام 1894م قرب مدينة القدس على أرض يملكها اليهودي البريطاني (مونتغور).

16- مستعمرة غان شيموئيل: أقاموها عام 1894م وكان يقيم في هذه المستعمرات الأربعين حوالي 12 ألف مستوطن. حتى عام 1918م وهو تاريخ الانتداب، وقام الانتداب أكثر مما تتوقع في سلب الأراضي وفتح أبواب الهجرة على مصراعيها، وسهلت للصهيونية كل مقومات وجودها الاقتصادية والمؤسساتية والمنظمات والعصابات العسكرية حتى باتت دولة إسرائيل داخل الكيان البريطاني، وقد عملت حكومة الانتداب كل ما وسعها لتقدم ما أنجزته هذه الحكومة الظالمة لشعب فلسطين من قهر وقتل وعقاب. لقد قدمت الحكومة البريطانية كل ما بنته من موانئ، ومطارات، ومصافي بترول، ومعسكرات كانت تأوي 80 ألف جندي، وطرق معبدة، وخطوط حديدية لم توجد مثلها بالشرق الأوسط، وسلمتها على طبق من ذهب مطلي بدماء أبناء فلسطين دون وخز ضمير أو مسحة إنسانية. لقد أوفت بريطانية المجرمة بوعدها المشؤوم وهي التي أقامت دولة إسرائيل بكل مقوماتها ليس حباً باليهود بل كرهاً للعرب.

المراجع:

(1): الموسوعة الفلسطينية ج1 خاص ص113،عادل عبد السلام.

(2): تاريخ سورية ولبنان القديم، فيليب حتي.

(3): الموسوعة الفلسطينية ج2 خاص عبد الكريم رافق.

(4): النباتات الطبيعية الطبية في بلاد الشام، أحمد عويدات.

(5): الحيوانات الطبيعية في بلاد الشام، وصفي زكريا.

الفصل الثاني

لـمـحة تـاريـخـيـة

اختلفت الحياة في القرية عن أوضاعها الحالية وبشكل خاص في توفر شبكات الماء والكهرباء، فالقفزة واسعة بين الماضي القريب والحاضر المتجدد، وكم هي متعة أن يتذكر المخضرمون أمثالي ممن عاشوا فترة السهر على ضوء الفانوس والسراج ثم اللوكسات والكهرباء، ومع ذلك فقد كانت الحياة بسيطة يشعر المرء بلذتها.

وأهل بلدة برقة لا زالوا يحملون عادات أسلافهم من أمثلة قضاء السهرات في المناسبات وما أكثرها إلى جانب القصص والأحداث المشوقة من قصص الزير سالم، وعنترة، وأبو زيد الهلالي، وألف ليلة وليلة، وما يتبعها من أحداث ثورة فلسطين 1929- 1935- 1936 وهي الثورة الكبرى الشاملة والتي أضرب شعبها ستة أشهر كاملة غير منقوصة، وهو أكبر تحدي لبريطانيا رائدة الاستعمار في ذلك الوقت. تخلصت فلسطين من الحكم العثماني بعد الحرب العالمية الأولى لتقع تحت الانتداب البريطاني المدمر لشعب فلسطين في إصرارها على تنفيذ وعد بلفور عام 1917م؛ حيث دخل الجيش البريطاني إلى فلسطين عام 1918م بمعاونة جيش الحجاز وبلاد الشام، واحتل الاستعمار البريطاني فلسطين وكان عدد اليهود في ذلك العام 56000 مهاجر يهودي، وبعد خروج بريطانيا من فلسطين عام 1948 كان عدد المهاجرين اليهود 65000 مهاجراً، وقد مرت فلسطين عبر تاريخها الطويل بأحداث هامة وكبيرة إليك موجزاً لها:

- كان لموقع بلدة برقة منذ فجر التاريخ دوراً بارزاً في حركة المواصلات بين الساحل الغربي إلى مناطق الداخل، يؤمها التجار والرحالة والمسافرون إلى جانب القوات العسكرية على مر العصور؛ إذ كانت القوافل المحملة بالعتاد والمؤن تحملها الجمال والبغال والحمير ثم العربات والسيارات هذه الأيام .تحمل البضائع القادمة من مصر براً، والقادمة من شمال أفريقيا ودول أوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط قاصدة الشرق نحو سورية والعراق، وقد عثر على مغر كثيرة فيها عظام بشرية يعود تاريخها إلى خمسين ألف سنة وهي آثار الإنسان القديم، وقد وسع الإنسان هذه المغاور التي حفرتها المياه بفعل التعرية والحت الكيميائي والتي تدعى بالحت الكارستي (حجر كلسي)، ويتم ذلك عندما تنزل الأمطار على الجبال والهضاب المكونة من صخور كلسية، فيمتص الصخر المياه كالإسفنج وتأخذ المياه بتحليل الكلس، وتحدث تجاويف بالصخر تتسع مع الزمن وتمتلئ بالماء، وعندما تصل إلى طبقات كتيمة (غضار) تستقر وتأخذ بالاتساع، تكوّن خزانات في جوف الأرض وتخرج على سطح الأرض لتشكل ينابيع، وينطبق هذا على كل الينابيع في العالم، وكانت محطة القوافل يستريحون فيها عبر الزمان ولا تزال.

- كانت المنطقة جاذبة للسكان وقد عثر علماء الآثار على الكثير، وقد ذكر المنقب غاري لوفسون أنه عثر في عين الأسد وحوله في منطقة الأزرق في الأردن على أدوات مصنعة حجرية تعود إلى بين 150000سنةً مضت، وعددها يزيد عن 500 قطعة في مساحة لا تتجاوز 50م مربع، استعملت لذبح الحيوانات المصطادة وتقطيعها، ولن نستطرد في نشاطات الإنسان الحجري وإنما يعنينا الفترة التي عاشها أجدادنا الكنعانيون في فلسطين ونشاطاتهم قبل 3000 عام ق.م، ووجدت أثار هياكل بشرية في رسوبات العرق الأحمر جنوب غرب مصب اليرموك في نهر الأردن، ويعود تاريخ هذه الآثار إلى 600 ألف سنة، ثم إلى 700 ألف سنة.

الزراعة

مارس الكنعانيون زراعة الزيتون والكروم وقد عثر علماء الآثار على صهاريج وحفروا الصخر لعصر الزيتون والعنب في بعض الخرب في منطقة برقة، وقد حفرت أنصاف دوائر في الصخر عمق الواحدة 20سم بجانبها حجر مصقول بشكل كرة لهرس الزيتون والعنب، وقد وصف طبيب أخناتون سنوحي المصري نشاطات السكان (الكنعانيون) في صناعة الخمور وإبداعاتهم فيها، وكان يتنقل بين المدن والقرى يعالج الناس مجاناً إذ أحبه الشعب وأكرموه ولما رجع لم ينسى هذا الجميل وذكرهم في كتاباته، ويذكر أنه تزوج كنعانية وله أولاد عاشوا بكنف الكنعانيين. كما زرع الكنعانيون الذين كانت محاصيلهم المهمة يجففونها ويدخرون مؤنهم كما نفعل هذه الأيام وأهم مزروعاتهم:

الرمان: وكانوا يستخرجون من عصارته نوع من الخمر، كما كانوا يلونون معابدهم بالصباغ الذي يستخرج من قشره، ويذهب البعض إلى الهكسوس هم الذين أدخلوا زراعته من فلسطين إلى مصر إلى جانب الخيول والعربات التي تجرها الخيول.

الجُمَّيز: ما زال من الأشجار المعروفة وكان يكثر في الغور، وقد قلت زراعته وهي أشجار صلبة خشبها من أجود الأخشاب وكانت تقدس في مصر وبلاد العرب.

اهتم الكنعانيون بترقية حالتهم الاقتصادية على أساس زراعة راقية غنية جداً حتى سمي وطنهم (الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً) وقد وصف المصريون خيرات فلسطين الزراعية في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بقولهم: (كانت بساتينهم ملآى بالفواكه، ووجدنا أنبذتهم (الخمور) في دنانها كالماء في كثرتها،ن وكانت حبوبهم في الأجران بعد درسها أكثر من رمال الشاطئ).

استخدم الكنعانيون المحراث الخشبي أول الأمر بعد أن جلب سكان بحر إيجة معهم صناعة الحديد، أخذ الكنعانيون عنهم هذه المهنة وأدخلوها في سكة المحراث الخشبي (1) والذي تجره الحيوانات، ومن الصناعات التي أبدع بها الكنعانيون صناعة الفخار بكل أنواعه، ثم الزجاج بكل أشكاله ونماذجه. لقد أتقن الكنعانيون مهنة البناء وبرعوا فيها، كما قام الفينيقيون وهم كنعانيو الأصل بتجارة الأصبغة وأبدعوا في صباغة القماش وأدخلوا كل الألوان وزخرفوها بكل الفنون التي لم يعرفها أحد قبلهم.

المحراث الخشبي

ومع أن الفترة الكنعانية التي مرت بهم في فلسطين كانت طويلة فإن الاستقرار لم يدم، ولم يتسنَ للبلدات الكنعانية أن تشكل وحدة أو إقليم لتشكل دولة؛ إذ اعتبر الفراعنة فلسطين هي البوابة الرئيسية للعالم القديم، وأن كل الغزوات لمصر تأتي منها لذلك كان همهم بقاء فلسطين تحت نفوذهم، وهذا ما حدث فعلاً إذ بقيت فلسطين تحت حكم الفراعنة مدة طويلة، ولما جاء داوود وأسس مملكته لم تبقى مستقلة سوى فترة حكمه وولده سليمان ثم عادت لتتبع الحكم المصري. تعرضت فلسطين إلى مرور الجيوش الجرارة من كلدان وآشوري وبابليين, حوثيين، وتلاقت في أسواقها بضائع الأمم من بلدان كثيرة، وتلاقت الثقافات من لغات آرامية وسريالية وهيروغليفية وعبرانية ثم الإغريقية واللاتينية. وبعد ظهور الإسلام أصبحت فلسطين جزءً لا يتجزأ من الخلافة العربية الإسلامية، وازدهرت منطقة الجليل الأدنى في عهد صلاح الدين الأيوبي إذ اتخذ بلدةشفا عمرو مركزاً لقواته، وكان سكان المنطقة يقدمون المؤن والمواد الغذائية لهذه القوات مما حرك التجارة وانعشها في تلك الفترة الخلافة العثمانية وأثرها على الفلسطينيين خاصة والمناطق العربية عامة.

لقد دأبت الدعاية الصهيونية على أنهم مؤسسي الحضارات، ودعاة التقدم والإنسانية وأخيراً الحرية والديموقراطية فهل كان لليهود حضارة؟

دعونا نستمع إلى أقوال علماء الغرب من غير العرب:

يقول غوستاف لوبون" ولما دخل اليهود إلى فلسطين وجدوا مدنها وقراها ومزارعها وكان معظمها بلدات صغيرة ومبعثرة لا تجمعها وحدة، وقد وجدوا بيوتاً مملوءةً بالخيرات، فالمدن كانت عظيمة لم يسوروها، وأباراً محفورةً، وأشجاراً مغروسةً لم يغرسوها، وتعلموا من الكنعانيين الزراعة أو اقتبسوا منهم مئات التقاليد والأعراف منها على سبيل المثال: صناعة الفخار، والخبز بالتنور، وصنع الخمور، وتربية النحل، وصنع الثياب إذ كانت ملابسهم تسير حسب الطراز الكنعاني، وكان ملوكهم يلبسون قميصاً طويلاً من نوع خاص كما كان قضاتهم يلبسون نفس القميص." ويتابع غوستاف لوبون: ومن المعروف اليوم أن اليهود كانوا أقل تمدناً ورقياً من الكنعانيين، والذين أخذوا عنهم الكثير من حضاراتهم وثقافاتهم وآدابهم وكتاباتهم وطقوسهم الدينية".

ويتابع غوستاف لوبون ويقول:" لم يكن لليهود من فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء حضاري، واليهود لم يساهموا بأية مساعدة في إغناء البشرية، ولم يتجاوزوا قط مرحلة الأمم المتوحشة والتي ليس لها تاريخ, ولما صارت لليهود مدناً؛ لأنهم كانوا غاية في العجز من أن يقيموا بأنفسهم مدنهم ومعابدهم وقصورهم، وقد اضطروا في إبان حكم سليمان إلى الاستعانة بالخارج فجلبوا البنائين والفنيين والعمال ولم يكن بين هؤلاء إسرائيلي واحد".

ويقول سيغموند فرويد عالم النفس اليهودي "وفي الأسر البابلي بقي اليهود سبعين سنة، وتعرف هذه الحقبة بالسبي البابلي إذ تغيرت أثناءها أحوالهم، ونشأ فيهم جيل جديد يختلف عن الأجيال السابقة، فتغير لسانهم، وتنوعت آدابهم، وتأثرهم وتخلقهم بالبابلية. لقد شعر اليهود بالأسر وهم في بابل بأنهم نكرة بين شعوب لها حضارات أصيلة في بلاد ما بين النهرين فتولّد عندهم عقدة النقص، وعندما بدأ الحاخامات ورجال الدين كتابة التوراة نسبوا لأنفسهم كل عظيم".

ويقول المؤرخ فيليب حتي :"ظل الناس حتى وقت قريب يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون إلى العبرية من لغة وفنون وعمارة وزراعة وأدب وصناعة. وكانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على آلات موسيقية، وكان الموسيقيون الأول من الهيكل كنعانيين في أشخاصهم وتدريبهم، وعندما بدأ داوود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقاها سليمان من بعده لم يكن بين النماذج الغنائية ما يمكن إتباعه سوى النموذج الكنعاني"، ويتابع حتي أن الختان أخذوه عن الكنعانيين الذين مارسوه في تقديم الأضاحي لإلاههم فينوس إله الخصب، وكان الرجل يقطع حلمة بشره ليقدمها على المذبح، وكذلك الفتاة العذراء كانت تفض بكارتها لتقدم الدم للمذبح أيضاً، فأخذوا هذه العادات ومارسوها وباتت شعاراً دينياً عندهم".

ويقول العالم بروستد: "لا يخفى على أحد أن المدن الكنعانية كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ منتصف ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد. كانت بيوتهم متقنة حوت العديد من أسباب الراحة والرفاهية إلى جانب الصناعة والتجارة ومعرفة الكتابة ومعارف هامة، حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون من السكان الكنعانيين[1]، لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم وقد أحدث الاختلاط تغييرات كثيرة بين الطرفين تجلت في حياة العبرانيين، فغادر بعضهم سكنى الخيام، وشرعوا ببناء مساكنهم كبيوت الكنعانيين، وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من الصوف الزاهي وبعد زمن معين لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم" كما هو حال المهاجرين العرب إلى أمريكا إذ ينخرطون في مجتمعهم يكتسبون عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم.

نحن لا ننكر ما وصل إليه اليهود في العالم، و ما حدث لهم من ظلم الشعوب لهم عبر التاريخ إذ تعرضوا للقهر والإهانة وبشكل خاص في القرون الوسطى، وهم يعترفون وكتّابهم عبروا بكتبهم بأن السلم والرخاء الذي تمتعوا به في ظل المسلمين لم يجدوه في أي شعب ساكنوه؛ إذ كانوا نكرات بين الشعوب الأوروبية، بينما احتضنهم العرب في الأندلس، وتعاملوا معهم بإنسانية وإخاء حتى في العهد العثماني فقد احتلوا مراكز رفيعة في الدولة. أما الآن فقد قلبت الصهيونية هذا النموذج من المحبة والإخاء إلى عداوة همجية؛ إذ تحالفت مع الاستعمار الأوروبي والأمريكي، وباتت الصهيونية أداة هدم وتخريب ودمار لنهضة العرب بعد تخلصها من الحكم العثماني، ونحن نرى كيف جعل الاستعمار البريطاني أولاً والأمريكي ثانياً من الغراب نسراً يهدد الأمة العربية بقوته العسكرية، ونهب خيرات العرب، وكأن العرب هم أصحاب الهولوكوست. إن الحضارة التي تتغنى بها إسرائيل هذه الأيام ماهي سوى حضارة غربية جلبها المهاجرون إلى فلسطين بمساعدة الاستعمار من رغيف الخبز حتى النووي.

يقول أبو تمام الشاعر المعروف "اغترب تتجدد": والعرب لم يكونوا نكرات حتى زمن الحكم العثماني إذ بقيت الحضارات العربية والإسلامية ماثلةً، إذ قام السلطان العثماني سليم الأول بسحب كبار الفنيين والحرفيين من مصر وبلاد الشام إلى إسطنبول للإفادة منهم في تطوير المهن عندهم على حساب حرمان العرب من هذه المظاهر الحضارية، وبقي للعرب في الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ومصر عرب شمال أفريقيا.

وجاء الرومان وحكموا كل البلاد الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط فزرعوا الأرضي الواسعة، وبنوا القنوات وجروها لتروي المزارع والثغور وتركوا آثارها التي حافظ العرب والمسلمين عليها وطوروها وأدخلوها إلى قصورهم وبيوتهم ولم ندع بأننا الذين من أنشأها وبناها. واليونان جاؤوا وحكموا وتركوا مدناً عمروها وسكنوها ولا زالت تحمل ما سموه بها ولم ندعي أننا من أقامها وعزز بنيانها، ولا زالت تحمل

[1]: الدباغ. **"بلادنا فلسطين– الجزء السابع– القسم الثاني"**. ص: 256.

مثل هذه المدن آثارهم وتتغنى بها مثل الإسكندرية وغيرها الكثير، وجاء العرب والمسلمين وحكموها وتركوا مآثر سكانية وحضارة اقتصادية وثقافية ومعارف وعلوم يشهد لهم التاريخ في نشرها وتعليم العالم دون تميزالحضارة الهلنستية.

وجاء الصليبيون واحتلوا بلاد الشام بحجة استعادة القدس من المسلمين، وقسموا البلاد على أمرائهم وعاثوا فساداً، ودمروا أماكن عبادة المسلمين، وقتلوا ونهبوا ما طاب لهم من غنائم بحقد لئيم، ولم يتذكروا سياسة الديانات السماوية وكيف عاملهم المسلمون عند احتلال القدس حتى عندما أعاد صلاح الدين مدينة القدس ترك لأهلها البقاء أو الخروج منها.

واستطاع الظاهر بيبرس إخراج الصليبيين من بلاد الشام نهائياً، وتبعها بهزيمة التتار بمعركة عين جالوت بفلسطين وهي آخر معركة لهم في بلاد الشام، وخرجوا مهزومين لم يتركوا سوى الخراب والدمار وقبور من قتلوهم في تعطشهم للدماء. وتعرضت البلاد إلى حكم المماليك وكان منهم الجيد ومنهم الضعيف، وقد ترك الجيدون الكثير من الآثار العلمية والتي أمدت العالم بالمعارف والخبرات العلمية من تقدم في الطب والفنون والفلسفة وعلم الكلام.

وبقيت بلاد العرب تحت حكم العثمانيين أربعة قرون أوقفت الدولة الحاكمة كل تقدم، وبينما كانت أوروبا تنهض بكل مقومات التقدم والحضارة فإن الوطن العربي والإسلامي ظل في سبات عميق، وضعف قاتل، وفقر مدقع، وهمّ الباب العالي هو جمع المال ولو على جماجم الضعفاء ودماء الأطفال البريئة, فتعاون الأحرار العرب مع الشريف حسين الذي أعلن الثورة ضد السلطة العثمانية بالتعاون مع الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، وطردوا العثمانيين من بلادهم ليجدوا حلفاءهم المستعمرين من فرنسا وبريطانيا والصهيونية وقد اقتسموا البلاد فيما بين فرنسا التي احتلت سورية ولبنان، وبريطانيا الغدارة بانتدابها على فلسطين والأردن والعراق لتنفيذ وعد بلفور وإقامة الدولة القومية لليهود في فلسطين، وقد اعتمد الأتراك سياسة فرق تسد، واندلع الصراع بين العائلات في أكثر من منطقة وقد استغل الانتداب البريطاني لفلسطين هذه السياسة المدمرة ومارسها بشكل وحشي لا أخلاقي في تمزيق الوحدة، وقد تبعتها إسرائيل في فلسطين المحتلة، وزادت عليها بحقها الأسطوري نهب بيوت العرب في فلسطين وشردتهم، واستولت على أملاكهم من عقارات وأثاث وأراضي بمراسيم سلطة غاشمة استغلت مناصرة الاستعمار وأمريكا في الأوساط الدولية.

فلسطين تحت الانتداب

لقد تأثر الهيكل الاجتماعي العربي الفلسطيني بشكل واضح تحت الانتداب البريطاني، إن صك الانتداب البريطاني ينص على مساعدة اليهود بإيجاد وطن قومي لهم في فلسطين، وهو وعد بلفور الذي صدر عنه في 1917/10/2م. وقامت بريطانيا بتعيين أول

مندوب لها في القدس وهو هيربرت صموئيل اليهودي ومعه مخطط تنفيذ الوعد أكثر نفعاً من وعد اليهود إلى إبراهيم عليه السلام، واستغلوه استغلالاً منظماً ووظفوا كل أساليب الدعاية والإقناع والإرهاب والتزوير لتحقيق أهدافهم.

ومنذ بداية الانتداب البريطاني اعتبر العرب أن تدهور الأحوال الاقتصادية هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية الرامية لتشجيع الهجرة، وقد كتب جورج ستيوارت George Stewart حاكم لواء حيفا في أوائل نيسان 1922م إلى تشرشل وزير المستعمرات تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها وماله من أثر قوي على موجة الاستياء التي تعم مختلف سكان العرب في فلسطين إلى حدّ تجاوب معه القرويون مع حملات التحريض المضادة للحكومة، ويتابع هذا الحاكم في رسالته ويقول:" فالأعمال في عكا وشفا عمرو متوقفة، وفي حيفا تكاد تكون جميع أنواع العمل التي تعود بالربح على العرب متدهورة، كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سورية أخذت تقتل الترانزيت، فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يكاد يتوقف عن العمل، بل أن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة، وقد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية وأصحاب العمل اليهود للمهاجرين الجدد من العمال، إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة والدخل شبه معدوم".

أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية) فإنهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم أو بواسطة أية أعمال أخرى وإن بعضهم يواجه الإفلاس، وليست حالة صاحب الأرض الكبيرة خيراً من ذلك بكثير فهو مثقل بالديون وليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الاسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه، وإنه ليجد من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول، ويرى ساكن المدينة أن ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عنها من الهجرة اليهودية. أما البدو فإن عليهم إما أن يتحولوا إلى فلاحين أو يهاجروا خارج فلسطين[1].

تعليق:

إن رسالة جورج ستيوارت حاكم حيفا إلى ونستون تشرتشل يمكن إيجازها بجملة واحدة؛ بأن الانتداب البريطاني على فلسطين جاء حتى يفقر سكانها العرب من أجل سيطرة الصهيونية على فلسطين.

وفي هذا الموضوع أقدم للقارئ وصفاً للمؤرخ البريطاني (آرنولد تونبي) في وصفه التكنيك الصهيوني العدواني بقوله:

"إن الأعمال الشريرة التي اقترفها اليهود الصهاينة في عرب فلسطين، والتي يمكن مقارنتها بالجرائم التي اقترفها النازيون ضد اليهود، ويمكن تصويرها في ذبح النساء والأطفال والرجال في دير ياسين في 1948/4/9م، مما استدعى هروب السكان العرب بأعداد كبيرة من المناطق التي تقع ضمن نطاق زعماء المستعمرات اليهودية المسلحة". ولو أن هذا المؤرخ مازال حياً لرأى المجازر التي يرتكبها هذا النظام في أرض العرب من مجازر مثل مذابح قبية، ودير قاسم، والطنطورة، وجنين، وغزة في حرب 1956م، وما تبعها حتى الآن ثم مجزرة بحر البقر في مصر مروراً بمجزرة قانا، والمذابح التي أشرف عليها شارون في شاتيلا عام 1982م وما أسفرت عنه من آلام واستنكار محلي وعالمي، بينما وقفت حكومات الدول الغربية والولايات المتحدة وكندا تدافع عن هذه الممارسات التي حرمتها الشرائع السماوية ومواثيق الأمم المتحدة، ولاتزال هذه الدول تمارس تأييدها للصهيونية ليس حباً باليهود بل كرهاً بالعرب والدين الاسلامي، وأصبح في عرفهم بأن الذي يدافع عن أرضه وأملاكه إرهابياً، والذي يقصف بالصواريخ والطائرات بطلاً، والذي يقذف المحتل بالحجر أو طعن بالسكين إرهابياً.

المراجع:

(1): الموسوعة الفلسطينية، مجلد 2 خاص، ص 110 أحمد طربين.

(2): العرب واليهود في التاريخ، د: أحمد سوسة.

(3): الموسوعة الفلسطينية خاص، ج2 عبد الكريم رافق.

(4): بلادنا فلسطين الديار النابلسية، ج2، مصطفى الدباغ.

(5): الموسوعة الحرة ويكبيديا.

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

كان لموقع برقة نابلس أهمية للنشاط الزراعي والصناعي والتجاري ثم السياحي، وقد عزز ذلك قربها من خط حديدي رفح حيفا، كما زاد من أهميتها قربها من الشارع المعبد الرئيسي والذي يربط رفح بحيفا أيضاً، لذلك كان لموقعها الجغرافي مركزاً مهماً للمسافرين والبضائع منذ القديم حتى الآن، وقد سهلت هذه العوامل التنقل من الساحل نحو الداخل إذ كانت برقة ظهيراً لميناء أسدود والبريطاني قديماً.

الزراعة

تتألف معظم أراضي برقة من تربة طفلية حمراء صالحة للزراعة، أهمها الحمضيات وقد غرس أهالي البلدة في أواخر عهد الانتداب أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة حول قريتهم على رأسها أشجار الحمضيات، حيث بلغت مساحة الأراضي المخصصة للحمضيات عام 1955مى نحو 665 دونماً، كما زرعوا التفاح والإجاص والمشمش، وقد تفننوا في زراعة العنب والخضار بأنواعها في البيوت البلاستيكية وباتت هذه الزراعات تدر الأموال الكثيرة على المزارعين، وقد نراها اليوم تتقهقر بفعل الحواجز وقطع الطرق والكيد للمزارعين تحت الاحتلال المدمر.

تعتمد الزراعة في البلدة بشكل عام على مياه الأمطار التي يقدر متوسط كمياتها نحو 400 مم, وقام الأهالي بحفر الآبار الارتوازية لري بساتينهم وجمع الإنتاج وبيعه في نابلس والمدن الأخرى، وقد تفنن المزارع البرقاوي في استخدام العلم والمكننة في الزراعة فزاد إنتاجه الأضعاف، وباتت برقة سلة الغذاء المعتمد لمنطقة نابلس وأهم ما يزرعه أهالي البلدة:

- **الحبوب**: من قمح، شعير، ذرة بيضاء وسمسم.
- **البقوليات**: العدس، الحمص، الفول والبازيلاء.
- **الخضراوات**: البندورة، الباذنجان، القرنبيط وكل النباتات التي تدخل في الطبخات. وقد أستفاد أهل القرية من البيوت البلاستيكية في زراعة الخضار المتسلقة والفواكه والورود والخيار.

تربية الحيوانات

بالإضافة للبيوت البلاستيكية للمزروعات، بنى أهل البلدة بيوت الدواجن وباتت هذه المهنة في استثماراتها رائعة الجودة من حيث لحوم الدجاج وبيضه وتصدر إلى محلات الأغذية، إذ توجد فيها مفاقس البيض.

تتمتع البيوت بالكهرباء للتدفئة في الشتاء، والتبريد في الصيف إلى جانب مخازن خلطات الطعام والعناية الطبية،كما تربى الأبقار في مزارع خاصة، وبجانبها البراري المزروعة بالفصة لرعي الأبقار والإفادة من حليبها الوافر الذي تضخه البقرات يومياً، وتقوم عليه صناعة الألبان (أجبان- زبدة- سمنة) التي تصدر إلى الأسواق بانتظام.

وهناك قطعان الأغنام والماعز التي تسرح وتمرح عبر البوادي يقودها الرعيان بصحبة كلابهم ترعى وتمرح، تأكل الكلأ، وتشرب الماء، تدرعلى أصحابها المال الوفير في بيع الألبان والصوف الذي يجز في الربيع والخريف، إلى جانب لحومها المفضلة عند العرب والمسلمين. إن ما ذكرته من إنتاج زراعي وحيواني قامت به نساء برقة منذ القدم، أهمها تأمين مؤنة العام.

الصناعة وعمل المرأة في البلدة

كانت النسوة تسلقنَّ القمح وعند الاستواء كنَّ يفرشنَه على حصير حتى يجف، ثم تخزنه في أوعية فخارية وعند الحاجة لطبخ البرغل تقوم بطحن ما يلزمها بواسطة طاحونة مؤلفة من دولابي حجر بازلت؛ أحدهما مثقوب بالوسط مثبت في الثقب خشبة مستطيلة، والدولاب الثاني له ثقبان أحدهما في الوسط يدخل في عمود الدولاب الأول وثقب على طرف الدولاب تثبت في يد خشبية يستخدمها ويحركها، ويسكب البرغل الحب في الوسط وعن تحريك الدولاب يتسرب البرغل المطحون وينزل للأسفل على الأطراف، وكذلك تقوم النسوة في برقة بقطع سيقان القمح عندما ترى سنابل القمح قد نضجت في نيسان، وتجمع السيقان مع سنابلها بقدر حزمة اليد ثم توقد نار عالية اللهيب وتلوح الحزمة (السنابل) على النار، وعندما ترى السنابل قد حرقت أشعارها تزاح الحزمة بعيداً وتأخذحزمة أخرى وهكذا، فتحصل على كميات من الفريكة بعد أن تقوم المرأة بفرك السنابل فيسقط الحب، وسميت بالفريكة.

كما تعد مؤنة العدس والحمص والسمسم والفول وتصنع الجبن والسمن والصابون وزيت الزيتون وكل هذه المواد كانت تخزن ضمن بيت مبيت الحيوانات؛ الذي قطعت حيطانه إلى (خابيات) واحدة لخزن القمح، وأخرى للشعير والتبن، وخوابي أصغر (للعدس والحمص والفول والبرغل والفريكة) كما يوجد من الجرار أو الزلعة لخزن زيت الزيتون وتتسع إلى 750كغ، وكثيراً ما تغطى بالبورسلان ولها غطاء يسد فمها الكبير.

إلى جانب ما ذكرت كانت المرأة في برقة تقوم بتنظيف البيت، وبيوت الدجاج والحمام، تجمع البيض وتبيعه للتاجر الجوال، وكذلك بيع أفراخ الدجاج والزغاليل، تعجن وتخبز، وفي حالة الفراغ كانت تصنع أطباق القش والمشكول والقفف، وأحياناً تعمل في شغل الإبرة لصناعة الطواقي والكنزات والسترات الأخرى هذا ما أوزته لعمل المرأة في قرية برقة. بينما تطورت الأحوال فالغسالات والبرادات وحاضنات المؤنة والخبز الجاهز والمعلبات بأشكالها متوفرة في الأسواق، تقوم عليها ورشات تنتجها مثل أكياس النايلون، وحافظات البيض الكرتون منها والبلاستيكي، كما تحفظ لحوم البقر والغنم والدواجن في أغطية بلاستيكية معقمة، والمستهلك يذهب هذه الأيام إلى (السوبر ماركت) ويبتاع ما يريد من محل واحد.

وقد تدخلت التكنولوجيا في حياة الناس فجاء التلفزيون وقلب سهرات العهد القديم إلى سهر طويل، كما جاء الهاتف الخلوي فألهى الوقت، والابتعاد عن الأكل والشرب حتى الدراسة وطلب العلم نافس الجوال متطلبات البشر ولم يعد الابن يتلاءم مع أسرته، وبات كل شخص ينطوي على ذاته مع جواله يتلاعب به ويلعب عليه، وقد رأيت وسمعت ما قدمه الجوال من مواد نافعة وغيرها ضارة سائلاً الله الهداية وحسن الختام.

إن الصناعة خففت من البطالة وإذا كان ما قدمته من شقاء المرأة ومعاناتها في الماضي فإن عمل الرجل كان محدوداً؛ ففي مجال الزراعة وجني المحصول كان في مواسمه من حيث الحراثة والبذار وجني المحصول، وعندما تحولت بعض الأراضي للري صار العامل الزراعي مشغولاً طوال العام في زراعة أكثر من موسم واحد أو موسمين. كما كانت هناك فرص للحدادة وحياكة الثياب، وكان في برقة صانع أحذية واحد وخياط وصانع الجلود ركوب الخيل، كما كان فيها صانع (الحلوس) وهو مركوب الحمير المصنوع من القنب المحشو بالقش. والحداد كان يصنع السكاكين والأمواس والشباري (السكين) وحذوات الدواب، ثم تطورت الحدادة إلى صناعة الأبواب والنوافذ وسقف البيوت وجدران الجنائن والمساجد والمؤسسات. وجاء الألمنيوم ينافس الحديد ونحن نرى كم عدد ورشات الحديد والألمنيوم في برقة. وساعد التوسع العمراني في برقة على الطلب أيضاً إلى ورشات قطع الصخور وتنعيمها حتى أنهم صنعوا من حجارة الكلس الرخام، ودخل الرخام المحلي في الأبنية الحديثة ورصعت بها الجدران، وتوجتها سقوف القرميد القرمزية التي تبهر العيون، وتثلج الصدور. وقد أقيمت المكالس لاستخراج الكلس في مرتفعات برقة، كما أقيمت صناعة الفحم منذ القدم وما زالت صناعة زيت الزيتون في برقة قديمة العهد بينما كان الكنعانيون يحفرون بالصخر لعصر الزيتون يهرسونه بحجر مكور بشكل كرة يضعون حب الزيتون في الحفرة بالصخر ويهرسونه بكرة الصخر، فينزل الزيت بالحفرة ويعصرون التفل الناعم بأيديهم، ويضعون الزيت بخوابي من الفخار. وفي زمن القرية كان بها معصرة وهي عبارة عن بناء دائري يرتفع حتى صدر الحصان، وسط البناء عليه حجر مستدير في الأسفل يخرج منه عمود حديدي يتمفصل مع دولاب حجر كبير مثبت بالعمود مثبت فيه عامود خشب طويل يصل إلى صدر الحيوان الذي يدور حول المعصرة، ويسكب حب الزيتون ويسحق تحت ثقل الحجر الدوار، ثم يؤخذ المسحوق، ويوضع في قفف بشكل دولاب مصنوعة من شرائح القصب، وتعبأ (بالجفت) وهو عصير جب الزيتون، تجمع هذه الدواليب وتوضع فوق مكبس يعصرها فينزل الزيت صافياً إلى بئر تحت اللولب، ويؤخذ التفل (الجفت) ويجفف ويعبأ في أكياس من الخيش، ويقدم علفاً للحيوانات.

أما اليوم فقد تطورت معاصر الزيتون وباتت آلية تتميز بسرعة العمل ونظافة الإنتاج، ولما كانت برقة من أوائل المنطقة في زراعة الزيتون إذ خصص لها 2500 دونماً و300دونماً للخضار و1500 دونماً للفواكه (عنب، تفاح، وأجاص, مشمش، توت، وفراولة، تين، ولوز).

الخدمات في البلدة

لقد قامت بلدية برقة في فتح الشوارع وتعبيدها، وبناء الأسواق والساحات العامة، وتأمين الخدمات من شبكة مياه وشبكة كهرباء، وفي دار مجلس البلدية أقامت قاعة لاجتماع المواطنين عند الحاجة، كما أقامت الأقسام الإدارية من مهندسين وعمال وخدمات فهي تشرف على التعليم والصحة والخدمات إلى جانب الأمن. أما التجارة في بلدة برقة فهي نشطة لكثرة إنتاجها وتنوعه، وسهولة مواصلاتها، وازدحام السكان فيها، وقد أهّلها موقعها أن تلعب دوراً مهماً في التجارة والنشاط الاقتصادي، وهناك من الآثار المشجعة لقيام السياحة في بلدة برقة نابلس لوجود الطبيعة، والجو المرح، وسهولة المواصلات، وقربها من التجمعات البشرية ويزيد على ذلك استثمار المغتربين أموالهم في نهوض بلدتهم وتحسين معيشة ذويهم، وهو أفضل مشاريع الاستثمار خاصة في توسيع الطرق وتشجيرها، وبناء الفنادق والمصحات وكل العوامل متاحة في تنفيذ مثل هذه المشاريع الخيرة. لقد باتت بلدة برقة النابلسية بتطورها السريع لتصبح مدينة خلال سنوات قليلة، قامت فيها مثل هذه المشاريع وليس ذلك صعب عند أهاليها البواسل و مغتربيها الأوفياء.

يتوسط بلدة برقة شارع رئيسي معبد مستقيم تتفرع عنه طرق فرعية تصله مع الشوارع الأخرى، والبلدة كما أسلفنا ينمو البناء ويتوسع في جميع جهاتها بني فيها مسجد حديث. إن الحركة التجارية تنتعش في وفرة الأمن والمواصلات في المنطقة وهذا كان متوفراً قبل الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية حيث قام الاحتلال بإقامة المستوطنات، وتأمين المرافق الحيوية لها على حساب المواطنين العرب أصحابها، صادروا الأرض، ووضعوا الحواجز، وأغلقوا الطرقات، وضيقوا على الناس حياتهم، قتلوا من قتلوا، وسجنوا من سجنوا، حتى قال أحدهم لم يبق بيت في الضفة والقطاع ألا ودخل أحدهم السجن!!. فتدهورت حياة الناس، وضعفت تجارتهم، واضمحل حماسهم، وبات كل مواطن غير مطمئن على حياته من اليمين الإسرائيلي المتطرف، وكل من في بلدة برقة يشعر نفس الشعور من عام 1967 حتى الآن. ويعلم بأن التاريخ لن يسمح بدوام الحال. ونرى سكان البلدة وقد زادت عداوتهم للصهيونية، وحقدهم يزداد بصدور مشحونة قيحاً، وقلوب غيظاً تمتزج كلها في دمهم ودماء أولادهم وأحفاد أحفادهم مخزونة في أعماق عقولهم حتى النخاع.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية

السكن، التعاون، التقويم الشعبي، الأمثال، اللهو

السكن

يقول المثل "الإنسان ابن بيئته" وعليه يسعى البشر منذ الأزل على تأمين مكان يأوي إليه عائلته من خطر الوحوش والبرد والحر، وأول ما بدأ سكن الكهوف إن وجدت المغائر، وإن تعذرت سكن الأشجار، وإن تعذرت بنى كوخه من جلود الحيوانات، أو بناها من الطين إن تعذر الحجر والخشب، ولا يزال قسم منها في شمال حماة وهي مخروطية الشكل، بينما بيوت دمشق القديمة بنيت من الخشب والطين لوفرة شجر الحور في غوطة دمشق، وكذلك بيوت سكان جبل العرب في السويداء تبنى من الحجر البازلتي لعدم وجود الشجر وهكذا، وبيوت قرية برقة مبنية من الحجر والطين الممزوج بالتبن، والسقف من الخشب الممزوج بملاط الطين، والبيوت متلاصقة والطرق ضيقة متعرجة لصعوبة سير الخيول الغازية، وأغلب البيوت من طابق واحد. ولما وجد الحديد والإسمنت تغير السكن وباتت البيوت تأخذ أشكال مختلفة معظمها من الحديد والإسمنت. والشيء المهم والمرغوب فيه تمسك أهل البلدة بالتعاون والمشاركة في مساعدة بعضهم في سقف البيوت في صبة السقف، ومعاونة البنّاء في بناء البيوت ذات العقود، ويساعدونه في تأمين الحجارة التي يحتاجها في عقد السقف، وتقوم الولائم عند وضع آخر حجر في السقف، وتأخذ النسوة بالغناء والزغاريد وتعم الفرحة ويسعد الجميع, وإن خفت هذه العادات هذه الأيام لوجود الآلات والمكننة في البناء فإن بعضها يكتنز في عقول أهل البلد. وإن فكرة التعاون لا زالت باقية نراها في حصاد القمح والشعير، وقطف الزيتون وفي جني المحاصيل ونقلها, كما كان أهل القرية يقدمون المال لبناء غرف جديدة لتعليم أبنائهم، وبعض المدارس كانت تشجع طلابها في تعبيد طرق القرية وإقامة الجنائن المحيطة بالمدرسة. ومن التعاون في القرية المشاركة في الأفراح والأتراح يخففون عن الأسر المصابة عبء ضيوف الرحمن في الأفراح والعزاء بالأتراح بما يقدمون من مؤن (أرز وذبائح وسكر وقهوة)، ويشاركون في الزفاف والتعليلة، كما يشاركون في التعزية والجنازة والدفن، وهذا ما رأيته عام 1965 حيث ذهبت مع عائلتي (زوجتي وأولادي) قرية بيت صفافا قرب مدينة القدس والتي قسمت إلى قسمين واحد تحت حكم الأردن، والآخر تحت حكم اليهود، وبالصدفة ونحن بجانب شبك الجدار رأينا جنازة تمر بجانب الجدار وسكان العرب يشاركون في الجنازة على طول الحاجز من الطرفين.

الأمثال الشعبية

إن الأقوال والأمثال الشعبية تقسم إلى قسمين تبعاً لفصلي الصيف و الشتاء.

- فالشتاء هو بداية السنة في عرف الفلاحين ويبدأ في 14/أيلول وهو:(عيد الصليب) لأنهم ينهون فيه الحصاد والقطاف ويبدأ الموسم الجديد، وتهب رياح شرقية يسميها الفلاحون شراقي الصليب، أو شراقي الخريف. وهذه الرياح هي العلامة الفاصلة بين الصيف والشتاء، وتأتي في العادة في أواخر شهر أيلول لذلك يطلق المثل (أيلول طرفه مبلول). وإذا هطلت الأمطار يقولون (الموسم بدري)، وإذا بدأت المطرة الشراقية قبل طلوع الشمس فسرعان ما تتلاشى، وإذا ما بدأت بعد طلوع الشمس فتأثيرها يستمر ثلاثة أيام. ويتشاءم الناس بالرياح الشرقية لأنها تجفف الجلد والوجه، ويقولون في سنة الشراقي (بتدور وما بتلاقي) أي لا خير فيها، ويبدأ المطر في هذا الموسم مبكراً ويسمونها: (شتوة المساطيح) لأنها تنزل على سطوح العشب الذي يبلونه بالماء والزبيب وينشرونه حتى يجف ويصبح زبيباً. ولكل من الثلاثة الأولى الممطرة أسماء كما يقولون[1]: الأولى والثانية والثالثة (يوم إفتوح)، ويوم الرابع والخامس والسادس (يوم إذبوح)، والسابع والثامن والتاسع (يوم إمنوح) أي شتاء جديد في تفسيرات البعض.
- وفي هذا الموعد يبرد الطقس ويقول الناس: (مالك صيفيات بعد الصليبيات) ويقولون: (إن أبرقت على الصليب ما تغيب)، وفي شمال فلسطين في الزيب والناقورة يعرف الناس أن البرق علامة المطر(عند البرق الدنيا بتتخبط) وأما إذا أبرقت وأرعدت (والمزار يتقطقت) وبالمحاصيل(صلبت وخربت) أي أن المطر بعد الصليب يخرب الزرع، ويعتبرون الثالث من تشرين الثاني هو التقويم فيقولون: إن العنب والتين يودعان السنة.
- وفي أكتوبر/ تشرين أول تجف مياه الآبار فيسارعون إلى تنظيفها من الأوساخ قبل الشتاء ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة (في عيد لد) (شد يا فلاح شد ما بقي للشتاء فعد).
- أما أشهر كوانين (هن فحول الشتاء والأرض) والفحول الرمز لإخصاب، ويقولون (بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل)، ويوصف كانون بأنه فحل السنة أو محلها أما شهر شباط فهو غير مستقر(شباط الخباط ما عليه رباط)، أما المستقرضات: فإنها جاءت في قصة العجوز وغنماتها والقصة تقول؛ أنه مرت سنة ولم ينزل المطر فسمع شباط هذه العجوز وهي تقول:

(راح شباط ودسينا في عجزه المخباط) فغضب شباط، وقال لأخيه آذار: يا ابن عمي أقرضني ثلاثة أيام من عندك، وأربعة مني حتى نغرق هالعجوز وغنماتها) هذا ما قرأته وأكتبه، لكن القصة تروى بشكل آخر فالاتفاق صحيح لكن القصة تقول: (يا ابن عمي أقرضني ثلاثة ومني أربعة حتى نجعل العجوز تحرق دولابها) أي لم يبق للعجوز من الوقود إلا دولابها الذي تغزل به، وتعتاش من شدة البرد[2].

- أما الربيع هو العشب ويؤمنون بأن العشب يبقى أسيرة (المربعنية).
- أما الرياح فهي ضرورية وفي ذلك يقولون: (ما مطر بلا رياح، وما نوم بلا صباح)، ويقولون أيضاً: (إن هبت غربي يا سعد قلبي)، ويتفاءل الفلاح من هجرة الطيور إلى فلسطين ففي بداية الشتاء يقال: (سنة الحمام أفرش ونام) فلا تنفع الحراثة لأن الموسم رديء، بينما قدوم طير الزرزور يدل على موسم جيد (سنة الزرزور أحرث في البور)، وسنة طير القطا (نام بلا غطا) فلا برد ولا زرع ولا مطر.
- **النظرة إلى الحيوانات والطيور من فألها وشؤمها**:فالهرة من الحيوانات المحببة لأنها حمت النبي من الثعبان في غار حراء.

الطب الشعبي

للطب الشعبي حصته الكبيرة في تكوين المعتقدات حيال النباتات الطبية، وربما كان للمعتقد الأثر الواضح في الطب الشعبي وعلاجه والأمثلة كثيرة. ففي النباتات والمعتقدات تروي عجائز القرى الإسلامية عن الدالية أن الأسد سقاها ثم سقاها الطاووس فالقرد[3].

- ومن أنجس الحيوانات في عرف الفلسطينيين الخنزير فهو رمز القذارة والحطة والنجاسة ولا يشتم أحد بالخنزير إلا المكروه.
- أما ابن آوى (الثعلب) هو حيوان محتال ذكره في المأثور الشعبي بحيله وذكائه.
- الثعبان أنجس الحيوانات إطلاقاً في المعتقدات الشعبية؛ وذلك أن إبليس تخفى في جلده ليدخل الجنة، ويعتقدون أن الحية خالدة لا تموت لأنها تجدد جلدها كل سنة.
- ويعتقد الناس أن القط ليس نجساً فلا يضر الآدميين الشرب من نفس الوعاء الذي يشرب منه القط، ولا يرون هذا في الفئران والكلاب ويقولون:"من يلعب مع القط يصبرعلى خراميشه" والفأر حيوان نجس في عرفهم لأنه من عطس الخنازير في فلك نوح إذ خرج من عطس الخنزير.
- الخلد: ابن عم الفأر، وهو من الخبث والاختفاء. والأرنب: يرمز لأمرين فإذا قيل عن شخص أنه أرنب كان المقصود بأنه جبان شديد الخوف، وإذا قالوا في المرأة أنها أرنبة (أي أنها بتمشط شعرها وتفرش بيتها) يعني أنها حسنة التدبير في منزلها.
- ويقولون عن من يحمل خبراً سيئاً "غراب البين أو زي البوم" والطيور المشؤومة: البوم والغراب لأنهما يعيشان في الخرائب ويبحثان عن الجيف، وكلاهما نجس وتشاؤم للناس من صوتيهما ومنظرهما، فإذا سمعوا صوت البوم يقولون مثل البوم ما ببشر إلا بالخراب.
- كان هناك اكتفاء ذاتي لسكان بلدة برقة لوجود الأغنام والأبقار والماعز ومشتقا ت الألبان إلى جانب توفر جميع أنواع الحبوب من قمح وشعير وذرة وعدس وجميع أنواع البقول، وبشكل خاص الحمص والفول والخضار بكل أشكاله، ولم يكن الفلاح بحاجة إلا للسكر والأرز والقهوة والشاي.

المأكولات الشعبية

- وأهم المأكولات الشائعة عند الناس في البلد هي:

العصيد- الكبة- الثريد- المجدرة- المنسف- لحم مع الأرز و اللبن- مقلوبة الباذنجان- أو مقلوبة القرنبيط- الملوخية- خبيزة- بامية- منزلة- زيت وزعتر- رشتاي- معكرونة- هندباء.. إلخ.

- ومن الحلويات هي: قطايف بالجبن- قطايف بالجو- العصيدة- الزلابية- الهريسة- البقلاوة – اللبأ مع الحليب- الرب مع الطحين الدبس مع الطحين والسمسم- الخبيصة- العوامة- لقمة القاضي- قمرالدين- ودبس ا لعنب- ودبس الخرنوب- ودبس تمر الدين ثم الحلاوة والعسل.
- وأهم المشروبات: الحليب- الشاي- القهوة- البا بونج- شراب الخروب، وقد شاعت المشروبات الوافدة من الخارج مثل الكولا وعصير الفواكه مثل التفاح والموز والليمون والحليب والسوس.

بعض الأدوات المستعملة في البيوت[4]:

تستخدم بعض الأدوات والأشياء ولها أسماء معينة عند أصحابها مثل:

- الخوابي (جمع خابية) وهي مخزن للحبوب تبنى أمام حيطان بيت المونة، ولها فتحة أسفلها تغلق بسدادة، ويبقى سقفها حراً ليسكب فيه الحبوب لخزنه.
- الطناجر: وهي بأنواع كثيرة منها النحاسية والألمنيوم ومعادن أخرى.
- الدست: وهو وعاء كبير الحجم من النحاس يستوعب 500 لتر من السوائل يوضع على النار لسلق القمح ليصير برغلاً، البندورة ليصير رب البندورة أو عصير الخرنوب ليصير(رب)، ويستعمل في الطبخ للولائم في الطعام. والمعتقدات في حفظ الأكل والشراب؛ يعتقد كل فلسطيني بأن الطعام قسمة ونصيب، وأن المرء لا يأكل إلا ما قسم الله له، لذلك هناك أقوال مأثورة عديدة بهذا الصدد. أعزم والزم والأكل نصيب"، وأحياناً يتأخر شخص على العزومة فيأكل شخص آخر طعامه غير مدعو في الأكل فيقولون "ما حدش يوكل نصيب حدا"، وإذا قيل للمدعو لأحثه على الاستزادة "أكلت إلي فيه النصيب".

والأمثلة كثيرة عن الأكل: بينما استبدلت البرادات على أنواعها في حفظ الأطعم لأيام وأسابيع وشهور، ومن **الأمثلة الشعبية لبلدة برقة:** العين بصيرة واليد قصيرة- العين ما بتطلع على الحاجب- أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب- الدم ما بصير مي- إعمل معروف وكب بالبحر- عين ما تشوف وقلب ما يحزن- الجنون فنون- إن لقي أحبابه نسي أصحابه- إن دخلت الملائكة

خرجت الشياطين- الفرعة بتتحالى بشعر بنت أختها- مثل الأقرع وين ما ضربته يسيل دمه- السكافي حافي والحايك عريان- شدشد قربت الرملة من اللد- ضربوا اليهودي بعلبة لبن قال"وحياة ديني إني مشتهيها"- الزيت مسامير الركب- العرس في عمورية وأهل المزارع بترقص.

الأدوات المستعملة عند أهالي فلسطين كانت الحصير أو الحرام والفرشة والمسند والمخدات في غرفة الجلوس (غرفة القعدة)، وإذا جاء الطعام محمولاً على طبق من القش يوضع في وسط الغرفة، وتجلس الأسرة حول الطبق ويتناولون طعامهم بكل راحة. ثم تحول الطبق إلى طاولة قصيرة الأرجل وتلتف أفراد الأسرة وهم جلوس على الأرض، ويتناولون الوجبة بحرية وببساطة وقد تحول الطبق والطبلية (الطاولة السابقة) إلى طاولة كبيرة أرجلها طويلة. وحولها تصطف الكراسي ويجلس الآكلون على الكراسي، ويتناولون طعامهم بكل فخر واعتزاز وهذا هو عصر الجيل الجديد الحالي.

أما تموين الغذاء للأسرة فإن الفلاح يسعى لتأمينها في الشتاء حتى لا تجوع أسرته حين ينتهي مواسم الزرع والحصاد. وأهم مخزونات المؤونة السنوية (القطين- وهو التين المجفف- الزيتون حب- وسائل المخللات- ورب البندورة- ورب الخروب- والمربيات (مربى التفاح والمشمش والعنب والسفرجل) والألبان والأجبان والسمن، ثم مؤونة القمح وأحياناً مؤونة الكلس، ويضعونها في التون عند المحاجر إلى جانب فحم الخشب.

وعلى سبيل ذكر الأبراج وما يدور حولها عند علماء الفلك وشعوب العالم هذه الأيام فإني أسهل للقارئ من أهل البلدة في حفظ البيتين من الشعر نذكره بأسماء الأبراج كما ذكرها فلكيو العرب والمسلمين:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان وزنوا عقربا وقوسا بجدي ومن الدلو مشرب الحيتان.

الأصل والنسب

يؤمن الفلسطيني دائماً بالعقد الاجتماعي، ومفهوم هذا العقد شبيه بمفهوم العقد الاجتماعي الذي تأسس في دولة الإسلام الأولى في يثرب؛ إذ أفاق الإسلام أمة موحدة فوق القبائل ولم يلغ الرابطة القبلية مع أن عقل قوة العصبية القبلية يفسد على الأمة وحدتها.

والفلسطيني يؤمن بالحمولة ولكنه يؤمن بالقرية وعصبتها الموحدة، وكذلك بانتمائه إلى أمة العرب، ولم يفكر أي فلسطيني بعد زوال الدولة العثمانية أن يطالب بدولة فلسطينية ولحد الأن يكره الإقليمية وكل همة في وحدة العرب لأن وحدتهم هي قوتهم وعزتهم تحفظ حدودهم وخيراتهم وثقافاتهم وتعزز حاضرهم ومستقبلهم.

ومما يحز بالنفس أساساً ولوعة أن جماهير العرب في العقد الخامس من القرن العشرين هي نفسها أوضاع العرب الحاليين في القرن الواحد والعشرين إن كانت أسوأ حقاً بسبب تعزيز كراسي حكامها في دولها القطرية المقيتة، إذ كلما ازداد عددها ازدادوا فقراً، واضمحل طموحات أبنائها لما تراه من انطواء قادتها تحت أوامر أسيادهم الذين يعملون ليل نهار في تفكيك هذه الدول والسعي لتقسيمها وتقسيم المقسم.

إن الثورات العربية الحديثة أراها تتداعى في تحقيق أهدافها إذا اعتمدت على الأجانب في مساعدتها في تغيير حالها البائسة، وقد تحولت الثورات إلى هدم بيوتهم وثرواتهم بأيديهم دون دراسة ودراية وإعداد كل ما يلزم للنجاح.

لقد شجعت السلطات العثمانية العائلات الفلسطينية وحرضتها على بعضها سياسة فرق تسد، وجعلت لزعامتها الالتزام ومدت عليهم ممن يجمع الأموال للباب العالي، وتمكنت بعض هذه العائلات في توسيع قواتها وتمردت على الدولة في اسطنبول مثل فخر الدين المعني، والشيخ ظاهر العمر في عكا، وآل شهاب في لبنان، ومحمد علي في مصر، وظل الصراع طويلاً بين الدولة العثمانية والمتمردين، وانعدم الأمن، وعم الخراب والفقر والجهل البلاد.

المراجع:

(1): الموسوعة الفلسطينية، ج4 خاصر ص669 فكتور سحاب.

(2): الموسوعة الفلسطينية، خاص ج4 فكتور سحاب، ص .670.

(3): الفولكلور الفلسطيني، ج2 نمر سرحان.

(4): المرجع السابق نفسه.

الفصل الخامس

التعليم وأعلام بلدة برقة نابلس

ظلت الشعوب العربية والتركية أربعة قرون تحت حكم الباب العالي بإسطنبول والجهل والأمية تطفيان على الجميع، وكان هم السلطة جمع الأموال لخزينة الدولة عن طريق مريديها من الملتزمين والتجار والموظفين الكبار المحليين، وكان هؤلاء يرسلون أبناءهم إلى الأستانة للتعلم والتعليم. وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت السلطة العثمانية تسعى لإقامة بعض المدارس في المدن والقرى في فلسطين ولم نجد من الوثائق سوى ما كانت تصدره الحكومة من فرمانات تحدد إحصاءات لعدد السكان من الذكور وأعمارهم لأجل التجنيد والضرائب.

وقد ورد في إحصاءاتهم عام 1886م حسب قوائم شوماخر:

- عدد السكان الذكور (بين سن 16-60) 120 خانة.
- والخانة تمثل خمسة أفراد أي أن عدد السكان هو 1150نسمة[1].

وهناك مرسوم آخر حول المكاتب الابتدائية يقول بأن عدد الطلاب الذكور في العام الدراسي 1886/1885م هو 51 طالباً في قرية الرينة إذ لم يكن للإناث حظ من التعليم[2].

كانت المدارس تقوم في المساجد إذ كان القادر من أهل قرية الرينة أن يرسل ابنه إلى مدينة عكا ليتعلم في المدرسة الأحمدية فيها بجامع الجزار، والمسيحيون يرسلون أبناءهم إلى المدارس التبشيرية في الناصرة وغيرها، والمقتدرون من ملاك الأرضي والتجار يبعثون أبناءهم للدراسات العليا إما إلى إسطنبول، أو إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، أو مدرسة عنبر بدمشق لذلك كانت نسبتهم قليلة جداً لعدد السكان, وكانت الجامعة الأمريكية تدرس معظم العلوم مثل الآداب واللغة العربية، وقانون للمحامين، وعلوم مثل الطب والفيزياء والكيمياء والمحاسبة وغيرها من اختصاصات. كانت الأسرة في المساء بعد تناول العشاء يذهب الرجال إلى الديوان أو في بيوت الأصحاب لسماع أوضاع البلدة أو لعب الطاولة وغيرها. وباقي الأسرة من الزوجة وأبنائها وبناتها يجلسون حول الموقد في الشتاء، أو حول جدران غرفة المعيشة المفروشة بالحصر أو السجاد أو بالقماش التالف المنسوج مجدداً ليأخذ مكان السجاد الغالي الثمن؛ كانوا يجلسون يستمعون إلى الراوي وهو يحكي القصص والمسلسلات من حكايات الزير سالم أو عنترة العبسي وألف ليلة وليلة وكانت عندهم مثل المسلسلات التلفزيونية هذه الأيام وكل هذا يحدث على ضوء السراج الذي يعمل بوقود الكاز (الكيروسين)، وفي الحفلات كانوا يستخدمون اللوكس الذي يعمل

بمادة السبيرتو. وكانت الأسرة تؤمن حياتها بما تملكه من طحين، وزيت، وزيتون، حتى السمن والصابون، ومن لحوم البقر والغنم، والدواجن والحمام، وبيض وأفراخ دجاج، كلها كانت ثروات يؤمن فيها مأكله ومشربه أو يبيعها للمتجولين ليشتري ما هو بحاجة إليه من أحذية وقماش وملابس وسكر وأرز وكبريت.

وبعد الانتداب البريطاني افتتحت مدرسة للإناث، و كان في برقة مدرسة ابتدائية واحدة للذكور، وبعد الاحتلال الإسرائيلي للبلاد بقيت البلدة تعلم أبناءها بعد المرحلة الابتدائية في مدارس مدينة نابلس، ومع ذلك فقد أقبل الأهالي على تعليم أبنائهم وبناتهم بكل شغف حتى باتت الأمية تنقرض، وأصبح بالبلدة المهندسون، والأطباء بكل الاختصاصات، والمحامون، والخبراء، والفنيون، ورجال الأعمال، والحرفيون من مزارعين، وحدادين، ومنتجي ألبان، وألبسة، وخضار وغيرها، وما أكثرها مثل ورشات مواد البناء، وأصحاب الدواجن، والألبان، وأصحاب الماشية، وأصحاب الماشية، ومعامل البلاستيك وحفظ الفواكه والخضر، واقد أتقن الحرفيون عملهم وصاروا خبراء في مهنهم. ومع توفر العمالة في بلدة الرينة فإن البطالة متفشية بين الشباب والشابات لعوامل كثيرة منها على سبيل الحصر: ندرة الأراضي الزراعية والتي حولتها السلطة إلى المستوطنين، وحرمان أصحابها من استثمارها، وتطويق البلدة من كل أركانها بالمستعمرات، وتحديد البناء في البلدة وحصرها بيد السلطة التي تهدف إلى تطفيش الناس من بلدهم، ومنح خيرات أملاكهم إلى المهاجرين الجدد الذين لا يعلم أحد متى يتوقف هجومهم الظالم الغير شرعي بكل الشرائع والقوانين المحلية منها والعالمية، زد على ذلك أنهم لا يشغلون العرب في مشاريعهم وذلك حسب أوامر السلطة المحتل الخزانة ذات الأبواب الملبسة بالمنخل حيث يدخلها الهواء فيبقى الطعام ليوم أو اثنين بعيداً عن الحشرات والذباب. أو توضع اللحوم والطبخات في أواني مفتوحة وتوضع في وعاء من القش مدلاة بحبل بعيداً في الهواء الطلق ولا تفسد شرط أن تكون في الظل. وأحياناً يكون الليمون والبرتقال نادراً في الصيف، لذلك يلجؤون لحفظ الليمون خاصة ويطمرونه في رمال رطبة وكلما احتاجوا إليها يخرجونها من بين الرمال ويستخدمونها في العصير على الطعام وربما تبقى في الرمل شهراً أو شهرين[2].

بينما استبدلت البرادات على أنواعها في حفظ الأطعمة لأيام وأسابيع وشهور، ومن الأدوات المستعملة عند أهالي فلسطين كانت الحصير أو الحرام والفرشة والمسند والمخدات في غرفة الجلوس (غرفة القعدة)، وإذا جاء الطعام محمولاً على طبق من القش يوضع في وسط الغرفة وتجلس الأسرة حول الطبق ويتناولون طعامهم بكل راحة، ثم تحول الطبق إلى طاولة قصيرة الأرجل وتلتف أفراد الأسرة وهم جلوس على الأرض ويتناولون الوجبة بحرية وببساطة.

---

(2): الموسوعة الفلسطينية مجلد 4 خاص، ص 669 فكتور سحاب.

وقد تولت الطبق الطبلية (الطاولة السابقة) إلى طاولة كبيرة أرجلها طويلة، وحولها تصطف الكراسي ويجلس الآكلون على الكراسي ويتناولون طعامهم بكل فخر واعتزاز وهذا هو عصر الجيل الجديد الحالي.

أما تموين الغذاء للأسرة فإن الفلاح يسعى لتأمينها في الشتاء حتى لا تجوع أسرته حين ينتهي مواسم الزرع والحصاد، وأهم مخزونات المؤونة السنوية (القطين- وهو التين المجفف- الزيتون حب- وسائر المخللات- ورب البندورة- ورب الخروب- والمربيات (مربى التفاح والمشمش والعنب والسفرجل) والألبان والأجبان والسمن ثم مؤونة القمح، وأحياناً مؤونة الكلس ويضعونها في التون عند المحاجر.

كان الفلاح بالقرية همه الأكبر تأمين المؤونة لأسرته في الشتاء إذ كان يجمع الحبوب (القمح والشعير) والتبن لعلف الحيوانات إلى جانب جرار الزيتون، وغالباً ما خزنوا الزيت بخوابي كبيرة تدعى الزلعة؛ وهي مصنوعة من الفخار، وتطلى بالخزف الملون ولها غطاء واسع لغرف الزيت منها بسهولة، وكانوا يبنون في قاعة المونة حيطاً طويلاً أمام الحيط الأصلي لكنه أقصر ارتفاعاً، ويفصلونه إلى قسمين أو ثلاثة لخزن القمح والشعير والتبن وفي نهاية كل خزنة توجد فتحة تغلق وتفتح عند الحاجة بصرة من قماش. كما يبنى في العادة ببيت المونة قبل كل شيء أرضية المنامة للأسرة وبشكل خاص في موسم البرد إذ تنام الأسرة مع الحيوانات لأن نفس البقر والخيل تدفئ القاعة بينما تكون أرضية النوم مرتفعة عن الأرض بقدر مستوى صدر الدابة، ويضاف لها المذمد الذي توضع فيه عليقة الحيوان من علف (تبن وشعير)، وتقوم المرأة عادةً بتنظيف الأرضية من الروث كل صباح, كما يخزن في بيت المؤنة دبس العنب والخروب (الرب) والعسل والمربيات.

يوجد في بلدة برقة نابلس أربع مدارس تضم المراحل الثلاث للذكور والإناث، وقد احتفل من جديد بمدرسة نموذجية تبرعت بها (ألمانيا وفرنسا ودول أخرى).

أعلام بلدة برقة نابلس

تتمتع برقة بعدد المثقفين بين أبنائها أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر وما أكثرهم:

1) حسن برقاوي (1310- 1389هـ/ 1892- 1969م)

ولد حسن برقاوي في قرية برقة نابلس عام 1892م، تلقى تعليمه الأولي في كتّاب قريته وفي مدرستها الابتدائية، وأخذ الفقه والمنطق من فقهاء قريته، وبعد أن أدى امتحاناً في مجلس معارف نابلس, عين معلماً في قريته (برقة)، ثم سافر إلى الأزهر الشريف فنال الشهادة الأهلية العامة, وخلال وجوده في مصر أخذ عن علمائها كالشيخ محمد أبي العيون، أستاذ تاريخ العرب قبل الإسلام، والشيخ السبكي أستاذ علم

الكلام، وفي الرواق العباسي قرأ مبادئ الرياضيات على الأستاذ إدريس، وأخذ كتاب (القطر) على الشيخ عبد الله القلقيلي (صاحب جريدة الصراط المستقيم اليافية).

بعد ذلك عاد إلى نابلس وانتسب إلى الجامع الإصلاحي الكبير، وقرأ العربية والفقه والمنطق على الشيخ موسى صوفان، والشيخ داود هاشم. وعمل لفترة ما بين عام 1814إلى سنة 1918م معلماً في فلسطين. انتقل بعدها إلى سورية أثناء الحكم الفيصلي ليعمل مدرساً في عدة مدن كدمشق وحمص ودرعا، وخلال وجوده فيها نشأت صداقة بينه وبين عدد من علمائها وسياسييها كالشيخ بهجت البيطار، والشيخ عبد الفتاح الإمام، ومحمد الآسي، وصبري العسلي، ونشر بعض مقالاته في جريدة العمران، وجريدة ألف باء، ومجلة التمدن الإسلامية، كما نشر في عمان فصولاً في صحف الأردن والجزيرة ورسالة المعلم. لكن شوقه لفلسطين حمله على العودة فعين معلماً في قرية رنتيس (قضاء رام الله)، ومنها اتجه نحو الأردن حيث عين أستاذاً في ثانوية الكرك في عام 1925م حتى عام 1929، نقل بعدها إلى ثانوية إربد حتى عام 1932, ليعود ثانية إلى ثانوية الكرك حتى عام 1936م، واختير مساعداً لمفتش المعارف في لواء البلقاء حتى إحالته على التقاعد عام 1960م.

يقول المرحوم يعقوب عويدات "أحب طلابه وأحبوه، وغرست يمينه المباركة العشرات من الشبان الذين بلغوا أرفع المناصب في الحكومة الأردنية. وتنويها اليد البيضاء التي أسبغها على شبان هذه البقعة من العالم العربي يصح تسميته (أستاذ الجيل الأردني)".

وفي الرابع عشر من شهر آذار 1969م فاضت روحه ودفن في مقبرة عمان الكبرى. وتخليداً لذكراه قررت وزارة التربية الأردنية إطلاق اسم (حسن البرقاوي) على المدرسة الثانوية للبنين في حي الأشرفية بعمان. وكان أول من منح وسام التربية والتعليم من الدرجة الأول.

يقول العويدات "لو جمعت مقالاته وفصوله في الأدب والاجتماع والفلسفة وعلم النفس لجاءت في أجزاء ضخمة". ويتحدث عن رأيه بالحياة فيقول "فصول ومشاهد نظهر فتلفت الأنظار، هذه مسرحية تتكرر عبر الدهور".

هل الخاتمة والنهاية تمثيل وانزواء؟ أم أن هناك شيء آخر؟ فمن أين؟ وإلى إين؟ إلى الإنسانية المبعثرة المتراكمة جمالاً وقبحاً؟ أم إلى الله المرد وإلى تطور فيه البقاء؟ إن لم يكن المرء حياً خالداً فالحياة مهزلة وأي مهزلة[1].

2) راغب محمد الحنبلي (1267– 1314هـ /1850– 1896م)

فقيه وقاضي، ولد راغب محمد مصطفى البرقاوي في بلدة برقة، ويعود نسبه إلى آل سيف من قرية برقة، نزل جده مصطفى, وعرف بها بالحنبلي تولى قضاء الحنابلة سنة 1230هـ، وبعد وفاته سنة 1250هـ خلفه بالقضاء ولده الشيخ راغب الفقيه الفرضي، ولد بدمشق

سنة 1267هـ، أخذ عن الشيخ السيوطي، والشيخ محمد الشطي، وصار كاتباً بمحكمة السنانية، ثم في محكمة العونية، ثم بمحكمة الميدان، دخل القضاء فولي نيابة صفد وحاصبيا وغيرهما، ثم انتقل إلى السلمية (قرب حماة) حيث صار نائباً في قضائها، مرض في السلمية فانتقل إلى دمشق حيث توفي عام 1314هـ، ومن أولاده شاكر الحنبلي أحد رجال الحكومة السورية سابقاً.

3) محمد جبر(1367هـ/ 1948م)

قاص،في قرية برقا نابلس عام 1948م، كتب القصة والمسرحية من مؤلفاته:

- ثلاث مسرحيات: دار الكتاب, القدس عام 1978م.
- 2 شوال طحين، (قصص) 1981م.
- وكان لا بد أن ينزل المطر (مسرحية)، دار الكتاب القدس عام 1978م.
- الذئاب والمدينة (قصة)، دار الكتاب القدس 1987م.

4) محمد بن سلمان الأشقر(1348هـ/ 1930م)

عالم وفقيه وباحث، ولد محمد سلمان بن عبد الله الأشقر في قرية برقة نابلس عام 1930م، ونشأ في كنف والده الذي حرص على تعليمه فألحقه بالمدرسة الابتدائية في قريته، ثم التحق بالمدرسة الصلاحية الثانوية بنابلس. حيث مكث فيها أربع سنوات، وفي عام 1369هـ حيث توجه إلى السعودية وعمل مدرساً بالمدرسة الفيصلية في مدينة البريدة، ثم عمل بالتجارة بمدينة الرياض عام 1370هـ، وفي عام 1371هـ التحق بمعرض الرياض الديني، ومن عام 1373هـ أسندت إليه أمانة مكتبة دار الإفتاء ومقرها خلف مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في منطقة دحنة، وتابع الدراسة بالكلية الشرعية بالرياض إلى أن تخرج عام 1376هـ في الفوج الأول، أخذ العلم عن علماء أجلاء التفسير وأصول الفقه على الشيخ محمد أمين الشنقيطي، والفقه والعقيدة على الشيخ عبد العزيز عبد الله آل باز، و الفرائض على الشيخ عبد العزيز بن رشيد، والحديث على الشيخ عبد الرحمن الإفريقي، والنحو على الشيخ عبد اللطيف سرحان.

عمل بالتدريس بمعد (شقراء)العلمي، وأسندت إليه إدارته عام 1377هـ، نقل بعدها للتدريس بالكلية الشرعية بالرياض وكان أول من درس بها من خريجيها وبقي بها حتى عام 1383هـ.

التحق بالتدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وبقي فيها عامين إلى أن انتقل إلى الكويت حيث أسندت إليه أمانة مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية اثنا عشر عاماً من عام (1385- 1397هج)، حصل أثناءها على درجتي الماجستير والدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة الأزهر، وكانت رسالته بعنوان (أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية)، وحينما استأنفت وزارة الأوقاف بالكويت مشروع الموسوعة الفقهية نقل مع العاملين فيها، وشارك في لجنة الفتوى الشرعية بالكويت كعضو من أعضائها من سنة 1969- 1990م.

عاد إلى الأردن حيث أقام بيتاً في منطقة الجندويل من مناطق عمان، وتفرغ للبحث والتأليف، وشارك خلال إقامته بعمان بالمؤتمرات والندوات الفقهية وخاصة ما أقامته منها المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت ومجمع الفقه الإسلامي بجدة، من مؤلفاته:

- أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها في الأدلة الشرعية، رسالة دكتوراه الطبعة الرابعة عمان- مكتبة دار النفائس.
- الواضح في أصول الفقه للمبتدئين، الطبعة السادسة، (300) صفحة، عمان مكتبة دار النفائس.
- زبدة التفسير من فتح القدير "وهو مختصر تفسير الشوكاني"، الرياض، مكتبة دار السلام 1413هـ (1521ص).
- الفتيا ومناهج الإفتاء، ط3 عمان- مكتبة دار النفائس 1413هـ.
- الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي، الكويت- دار البحوث العلمية، (1258ص).
- فهرس المغني في الفقه الحنبلي، لابن قدامة الكويت- دار البحوث العلمية، عام 1391هـ (108ص).
- فهرس البداية والنهاية، ونهاية البداية لابن كثير، الكويت، دار الأرقم، 1404هـ، (428ص).
- كيف تدخل في الإسلام (مختصر للدعاة)، عمان- مكتبة دار النفائس1413هـ، (58ص).
- معجم علوم اللغة العربية، عمان، مكتبة دار النفائس.
- معجم المعني لابن قدامة بالاشتراك مع آخرين، الكويت، وزارة الأوقاف.
- **أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصرة (مع آخرين) للمؤلف منها:**

- الأصول المحاسبية للتقويم في الأموال الزكوية.
- أحكام المال الحرام وحكم إخراج الزكوية.

- الإلزام بالزكاة في الظاهر والباطن من الأموال، ومشمولات كل منهما في العصر الحديث- عمان- مكتبة دار النفائس 1418هـ، (170ص).

➢ **بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة (مع آخرين):**

1- التأمين على الحياة وإعادة التأمين.

2- بدل الخلو.

3- بيع المرابحة كما تجربة المصارف الإسلامية.

4- الأسس والقواعد التي تحكم النظام التجاري في الإسلام.

5- الامتيازات الاتفاقية على الديون.

6- عقد السلم.

7- عقد الاستصناع.

8- آداب الاستقراض.

9- النقود وتقلب قيمة العملات.

10- صيانة الأعيان.

11- المؤجرة وتبعية ذلك على المؤجر والمستأجر عمان - مكتبة دار النفائس. 1418هـ (324ص).

➢ **أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي- عمان- مكتبة دار النفائس.**

- فقه العمل للآخرة وجزاء الأعمال وموازنتها في الكتاب والسنة.
- إحياء التراث- تحقيق تعليق.
- نيل المآرب دليل الطالب في الفقه للشيخ عبد القادر التغلبي الشيباني الحنبلي ط2- عمان- مكتبة دار النفائس 1419هـ، مجلدان (480+520ص).
- حاشية الشيخ عبد الغني اللبدي على نيل المآرب- بيروت دار البشائر 1419هـ، (520ص).
- إجمال الإصابة في أقوال الصحابة للعلائي (بحث أصولي), بيروت، مؤسسة الرسالة، 1411هـ، (135ص).
- منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحة للعلائي (بحث أصولي)، عمان، مكتبة النفائس.

- مجموع بالمناقلة والاستبدال بالأوقاف لابن قاضي الجبل الحنبلي وآخرين، بيروت، دار الرسالة 1411هـ.

➢ **مؤلفاته المخطوطة:**

- الجامع الغزيز في الحديث.
- الأربعون حديثاً الطوال، جمع ودراسة وشرح.
- لهجة برقة ووادي الشعير من قرى فلسطين (معجم مصنف).
- مجموعة أبحاث أصولية.
- ترميز كتب الحديث (بحث مقدم إلى مؤتمر السنة في قطر1410هـ.
- مشاركة النساء في الولايات العامة والجزئية ومجلس الشورى والمجالس النيابية.
- صحيح مسند إمام أحمد على شرط البخاري.
- التفسير المنير مختصر تفسير ابن الأثير.

المراجع:

(1): موسوعة أعلام فلسطين- ج2 ، ص: 137 محمد عمر حمادة.

(2): المرجع السابق، ص: 143.

(3): المرجع السابق، ص: 222.

(4): موسوعة أعلام فلسطين- ج3 ، ص35: محمد عمر حمادة.

(5): المرجع السابق، ص: 92.

(6): موسوعة أعلام فلسطين- ج7 ، ص: 85. محمد عمر حمادة.

(7): المرجع السابق، ص: 142.

(8): موسوعة أعلام فلسطين- ج8. ص: 366.

الفصل السادس

الحياة الاجتماعية الأفراح والأتراح

إن تجمع أهل القرية في حيز محدود من الأرض يجعلهم جيران متكاثفين متضامنين في السراء والضراء، مشاعرهم متجانسة، ورغباتهم متشابهة، قلوبهم متماسكة، وعقولهم متقاربة، وعواطفهم موحدة، فإن حدث شيء مؤلم مثل وفاة فرد من القرية يتداعى معظمهم في تخفيف الأسى عن أهل الفقيد والمساعدة في دفن الفقيد، ومواساة الأهل في حزنهم، وإكرامهم بالمؤن والغذاء، وكذلك المساعدة في الكوارث والأمراض، ويتجلى تعاونهم بمواسم الحصاد، وجمع ثمار الزيتون، ونقل الإنتاج من حبوب وغلات.

ولما كان سكان القرية متعاونين ومشاركين فإن الشاهد على هذا التعاون والمشاركة تتجلى بالأفراح، ولها مراسم وخطوات لابد من تنفيذها وهي:

- اختيار الفتاة المنشودة: بعد أن تقتنع الأسرة بأن الشاب المعهود المرشح للزواج من بين إخوته وقبول الشاب نية الزواج، تقوم الأم وبناتها بالتفتيش عن بنت الحلال وبعد عثورهن على العروس[1] المنشودة وقبول البنت وأهلها، يتفق على الجاهة (أي يذهب ولي أمر العريس مع بعض رجال عائلته أو المعارف، ويطلب وليهم (كبيرهم) ويبدأ بقراءة آية من سورة الروم "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"، ثم يتابع قوله قد جئناك يا أبو فلان والوفد المرافق لطلب كريمتكم (اسمها)، (لابننا) اسمه على سنة الله ورسوله ونحن نتوخى منكم القبول".
- وإن تم القبول تقرأ سورة الفاتحة من قبل الجميع، ويقوم العريس بتقبيل يد الأب ويد عمه الجديد والد الفتاة، ثم يتبعها بالسلام يد بيد على المدعوين من أهل العريس وأهل العروس، وبعدها تنطلق الزغاريد والتبريكات والأغاني، وعلى ذكر الأغاني فهي كثيرة ومتعددة ولها مناسباتها، لقد تعددت العادات في فلسطين بين أقضيتها وبعض محافظتها على مراميها، أهدافها تتحد في كثير من أساليبها وخطواتها بشكل خاص بأفراحها و أتراحها و ما يرافقها من مناسك وسلوكيات ففي الأتراح مثلا إذا توفي أحد في الأسرة يبدأ أهل الفقيد بإبلاغ الأقارب و المعارف بالنبأ عن طريق مباشر بالهاتف، الصحف، المساجد، تطبع بطاقات خاصة توضح فيها عنوان وفاة الفقيد، ساعة و فاته، تاريخ دفنه، الصلاة عليه في مسجد معين يذكر اسمه، تتم الجنازة و يوارى الفقيد في مثواه، ويخصص ثلاثة أيام لمواساة أهل الميت ترافقها تقديم الشراب للمعزين من قهوة ماء وغيرها.

- في كثير من الحالات تطول الخطبة حتى الملل هذا غير مرغوب فيه. لقد قرأت (خطبة أبي طالب) عم الرسول عليه السلام لخديجة بنت خويلد بقوله: "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم، و زرع اسماعيل، وجعلنا الحكام على الناس, ثم إن ابن أخي محمداً من لا يوزن به فتى من قريش إلا و رجح عليه عقلاً و نبلاً وسماحةً وأمانةً, ثم إن له في خديجة بنت خويلد رغبة و لها فيه مثل ذلك وما احببتم من الصداق فعلي". في كثير من الحالات لا يعرف العريس فتاته ولم يسبق له أن رآها أو سمع صوتها لأن هذا كان محظوراً، وغير مرغوب فيه حسب التقاليد والأعراف البالية. و في بعض الأحيان يترك الشاب لأهله (أمه أو أخته) البحث عن الفتاة التي تليق بجنابه، يتم الاتفاق مع أهل العروس دون أن يرى العريس فتاته أو تراه و بعد الاتفاق على الإجراءات (من مهر مقدم مؤجل عند المسلمين) [2].
- ثم ينتظر من وكيل العروس الرد، وهناك يسود الصمت، ويتحدث الوكيل بصوت يشكر الوفد، يحترم مسعاهم، ويوافق بكل جوارحه على طلبهم ويشكر الجميع متمنياً للعزاب الزواج المنتظر. وعندما تسمع النسوة خبر القبول يبدأن بالزغاريد، وتصب القهوة، ويشرب الحضور أيضاً عندها تسمع النساء الموافقة، تأخذ النسوة بالزغاريد والغناء والتبريكات، ويُقدم الشراب. من الأغنيات التي تقال:

عَ الزنزلختع ع الزنزلخت ريتك يا حلوه من حظي بختي

بدك أبادلك ببادل بختي بدك مصاري بدفع مليونا

ثم تردد أغاني معاناة الشباب من غلاء المهر فيقولون:

على دلعونا يا مدلعنية صاروا يطلبوا في البنت مية

صاح العزابي يابيي منللي مصاري أجيب المزيونة

- التحضير للزواج: يدفع الشاب مهر عروسه حسب الاتفاق، يقوم أهل العروس بشراء الحاجات لابنتهم من ثياب وحلي فرش وغيره الكثير، ولما كان المهر يرهق الشباب ويثنيهم عن الزواج لفداحة النقد المطلوب. وقبل حفل الزواج تنقل أغراض العروس إلى بيت العريس بواسطة النسوة إذ يحملنها بصناديق وصواني وأطباق وبقج، وهن يردين الأغاني في زفة من بيت العروس إلى بيت العريس.
- حفلات الزواج: تقام السهرات يقال لها التعليلة ذلك مساء كل يوم لمدة تتراح بين ثلاثة إلى سبعة أيام هي فترة إعداد العروس للزفاف من تجربة للألبسة، الحناء الزينة كما يسهر الذكور على ضوء القمر أو على مصابيح (لوكسات) يتدربون على الأغاني والدبكات، ويسبق كل ذلك دعوة المعارف ووجهاء القرى المجاورة لحضور الحفل إلى جانب دعوات أهل القرية من رجال نساء.

- في يوم العرس تأتي و فود المدعوين من مناطق متعددة تحمل معها الهدايا، غالباً ما تكون ذبائح، أغنام، أكياس سكر وأرز، قهوة، وغيرها من المؤن المطلوبة للعرس[3].
- ينهمك أهل العريس وأقربائهم في استقبال الضيوف وفي إعداد الطعام من ذبح الخرفان، وتقام الموائد، ويتناول الضيوف طعام الغداء عند العصر.

تبدأ مراسم الدبكة والغناء وسباق الخيل أحياناً، والمنافسة في رمي الرصاص لإصابة الهدف. يكن هذا الحشد من الناس فرصة لتمتين عرى الصداقة والتعارف بين الناس في كثير من الحالات تحل مشاكل توثيق علاقات بين الأسر. تغني النساء أمام العروس أثناء خروجها إلى بيت عريسها أغنيات بقولهن.

يـا محـمرة يـا مـبـودرة ألـفين حق الكندرة

حلفت يا فلانة مابطلع إلا الحمولة حاضرة

من أغاني الزفاف الشهيرة للعريس يرددها الرجال في مواكب الزفة في مسيرتهم، يرافقن العريس إلى بيت العروس بقولهم:

عريسنا عنتر عـبس عـنتر عـبـس عريسنا

عريسنا ابن الـكـرام ابـن الـكرام عريسنا

عريسنا زين الشباب زين الشباب عريسنا

اللي يعادينا بنذبحه نـقـطـعـه بـسـيـوفنا

يركب العريس على حصان مكتمل العدة، يحلى ظهر الحصان بالرداء المزخرف، يجمل بالحلي الذهبية من رأسه حتى صدره كذلك الحال حصان العروس. ومن الزغاريد التي تحيي جنابه تمجده تشير إلى مكانته على غرار التقاليد العربية المهاهاة التالية:

أييها يا ب فلان لاترخي الحبل فينا إييها لاتشمت بنا يا طيب إييها حنا إن رحلنا جعلناك الدليل إييها حنا إن نزلنا جعلنا بيتك الغالي.

العتابا: تتضمن العتابا معاني مفاهيم للقيم الاجتماعية، وتستخدم الفخر المديح أكثر العتابا تأخذ جانب الغزل بقولهم حول صيد الظباء الأنسية التي حفلت بها الأغاني, في كثير من الأحيان تتحدث عن الصياد العاشق، عن الغزال الشارد، الحمامة الجميلة، قد أصابت الغزلان قلب العاشقين بقولهم:

ثلاث غزلان ناحي العين ماضين　　بقلبي نـاصبات جراح مـاضين

كـشـف الطبيب جـرحـي وقـال　　مـا ظـنـي يـطيب مجروح الهوى

نرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي جمعت القوام الرشيق، والشعر المايل. والعاشق محتار معذب بعدما رفض والدها طلبه فيقول:

يا طولـك طـول الزان مـا مـال　　يـا شعـرك حيـر الجدال ما مـال

بـوكـي لا قـبـل فـضة ولا مـال　　أكـيـف الـرأي عـنـدك والـجواب

إن الأغاني كثيرة عديدة متنوعة لكل منها معانيه ولحنه، منها:

زريف الطول، ودلعونا: يتغزل المغني بحبيبته التي عاشت بدلال أمها وأبيها، لكنه يفاجأ بخطبتها لغيره فيقع عليه النبأ وقع الصاعقة فيقول:

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك　　يللـي ربيـتي بـدلال أمـك وأبـوك

لمـا جـانـا الخـبـر إنـهـم خـطـبـوك　　شـعـر راسي شاب وظهري انكسر

يتخيل المرء غربته، وبعده عن وطنه، وحنينه إلى مسقط رأسه، فيقول:

عـلـى دلـعـونا عـلـى دلـعـونـا　　نـسـم يـا هـوا الـغـربي الحـنونا

بالله إن مـتـت يـامـا اقـبروني　　بـأرض بـلادي بـفـي الـزيـتـونـا

الغزيّل: هي تسير على نمط مماثل, فهي أغنية قصيرة تتألف من بيتين من الشعر تتفق الأشطر الثلاثة الأولى بقافية واحدة، بينما تختلف قافية الشطر الرابع الأخيرة تنتهي بالمقطع (با) هذا ناتج عن عبارة أهلا.

يا غزيل يا بو الهيبا　　يـاغـادي يـا مـعـذبـا

زرتـونـا شـرفتونا　　أهـلاً وسـهـلا ومرحبـا

في الأعراس تقام الدبكات والسحجات، ويأتي الحداؤن (الشعراء) يلقون أشعارهم الغنائية التي تنال المدح، والذم، والافتخار، أو الغزل، جميع أصناف المصطلحات والمفاهيم والقيم.

لقد جرت العادة أن يقف الشاعر أمام صف مستقيم من الرجال، وينشد أغانيه، ويقف الشاعر الثاني مواجهاً للأول، ويتباريان الأقوال المزدانة:

بمواقف حية معينة على سبيل المثال يتناول الشعر؛ السمرة والبيضة وينتصر الرجال لأي فريق، في كثير من الحالات يؤيد الجميع في حالات كثيرة، تتداخل النعوت السيئة والألفاظ البذيئة تصل العراك بين المتناصرين للشاعرين. من هذه الأغاني:

قالت البيضا اسم الله علينا يـا ورد مـفـتـح حـوالـيـنـا

يللي سـافرتـوا عـودوا إلـينـا لاتطيلوا الجفا تزيد الهمومـا

السمراء:

قالت السمرا إحنا العرايـس حنا المحـارم بيـد الـعـرايـس

روحي يا بيضا يا لبن مايـص اللي بيهواك يصبح مجنونـا

البيضاء:

يا ميخذ السمرة شوبدك فيها يـا رمـل البـحر تن يجليها

في البـير الخارب بـالله ارميـها احكم عليها حكم فروعنا

أبو الزلف: هي أغاني الدبكة، تلزم هذه الأغاني في آخر كل مقطع منها قافية واحدة، تأتي على الياء المشددة مع الألف الممددة:

عالعين يا بو الزلـف عين الزولف لـيـا

قـلـبي جريـح الهـوا إنتي الـدوا لـيـا

جـفـرا يـا هـالربع عـالبير نـشـالي

يـامـزنـرا بـالـطقم فوق الطقم شـالي

ومن عادة المرأة الحامل في قرية ناصرة الجليل وغيرها من قرى الجليل تبدأ بتجهيز لباس وليدها مسبقاً؛ مثل الحفاظات، ولفات القماش من القطن يقمط بها الوليد من رقبته حتى أخمص القدم، وذلك فوق الحفاظات وتبدل هذه الحفاظات مرتان أو ثلاث مرات يومياً، ويعتمد الوليد على الرضاعة من حليب أمه، كما تشتري المرأة لباس الطفل عند المشي من قميص وصدرية وسروال قصير، إلى جانب الكنزات الصوفية في الشتاء، وكثيراً ما تقوم الأم أو جدة الطفل بنسج طاقية الصوف والجرابات الصوف أيضاً لحمايته من البرد والصقيع، ويتبدل اللباس مع نمو الولد أو البنت حتى سن المدرسة.

ولادة المرأة: عندما تلد المرأة تخرج القابلة لإعلان النبأ، فإن كان المولود ذكراً تعبر الزغردة عن الفرح والسعادة بخلاص الأم نجاتها.

إي ويها جابت وقامت إي ويها ع فراشها ما نامت

إي ويها لك الحمد يا رب إي ويها ما تشمت فيها شامت

في غناء آخر للمولود يقلن:

إي ويها يا بلبل على الشجر إي ويها عيش وأكبر يا ذكر

إي ويها يا عطية ربنا إي ويها يا منال اللي صبر

قد تلجأ المهاهاة أحياناً إلى التعميم، فلا تذكر المولود ذكر أم أنثى، إنما تقتصر على دعاء بشفاء الوالدة وقيامها بالسلامة:

إي ويها وقفت حمامتنا أي ويها بقلب طاقتنا

إي ويها لا فرحنا ببنت أو صبي إلا بسلامة حبيبتنا

تنويم الطفل: تحاول الأم هز السرير الخشبي في الماضي المرجوحة، تأخذ بالغناء يدعى هدهدة:

نامت عينك عين الحق ما نامت

ما ظلت شدة على مخلوق دامت

يقلن أيضاً:

هللي له يا حمامة هـــللي لـو يـنـام

افرشيله الأخضر والوسايد ريش النعام

ترقيص الطفل: ترتبط بنمو الطفل و فق ما تدرك الأم أن الوليد يتحمل اللعب والترقيص, ذلك بضع يديها تحت إبطيه ورفعه إلى أعلى بحركات ترافق الأغنية، كالتالي:

متيمته يـاميمته يـاربي تخـليـه

تخـليـه لميمتـه تـكـحله عـينيـه

إن شاء الله بيكبر بيحمي هالشاب

يحمل على جنبه سيف جراب شبرية

أغاني الختان: هي متنوعة ليست هناك أغنية متخصصة، فالأم تغني ما يحلو لها من مهاهاة أغان عامة غير أن هناك أغان بهذه المناسبة تتكرر مثل:

طـهـروا يـا شـلبي ناوله لأمـه يـا دمـع الـغـالـيـة نـزلت ع كمو

مطهر يا مطهر امسح بالشفرة لا تـوجعلي ريـاض يـا بن الأمرا

اللعب مع الغناء: تتناسب هذه الألعاب مع سن الطفل عندما يصبح الطفل قادراً على الحركات المطلوبة. الألعاب بأنواعها (التسلية، الهواية، والرياضة، الصيد، سباقات الخيل، والدراجات الهوائية)

المراجع:

(1): الفولكلور الفلسطيني، ج1 نمر سرحان.

(2): المرجع السابق نفسه.

(3): الموسوعة الفلسطينية، خاص ج4 فكتور سحاب.

(4): المرجع السابق نفسه.

الفصل السابع

ثقافة المقاومة السلمية

اتحدت الفصائل الفلسطينية للمقاومة، شكلت تجمعاً للسينما سمته (جماعة السينما الفلسطينية)، وعوامل حل القضية في عام١٩٧٢ قد ركزت على صناعة السينما الفلسطينية تأسيس أرشيف تذيع الأفلام المنتجة، كان باكرة أعمالها فيلم (مشاهد من الاحتلال في غزة) إذ يتحدث الفيلم عن الإرهاب[1] الممارس بحق المواطنين الفلسطينيين في غزة، لكن مع الأسف لقد فشلت هذه المجموعة من النجاح؛ لإهمال المسؤولين في القيادات هذا السلاح، وعدم تحمسهم له. في عام 1952 زاد عدد الأفلام الفلسطينية وكان عددها 50 فيلماً، حاز بعضها على جائز هامة في مهرجان السينما الدولي. من البديهي القول إن المضاعفات الرئيسة لهذه الأفلام البارزة التي وظفها المنتجون السينمائيون في أفلامهم الجديدة مثل (تل الزعتر) إخراج مصطفى أبو على عام 1977، فيلم (عدوان صهيوني) لنفس المخرج عام 1973. ثم فيلم الانتفاضة من إخراج رفيق النجار عام 1974. من التجارب الهامة في مسيرة السينما الفلسطينية تجربة فيلمي (يوم الأرض، وطن الأسلاك الشائكة) هما الفيلمان اللذان يقدمان لأول مرة مادة من داخل الأرض المحتلة مصدراً خصيصاً من قبل سينمائيين مناضلين من أوروبا لتعذر دخل سينمائيين عرب في ظل الاحتلال.

هناك عوامل كثيرة أعاقت النشاط السينمائي الفلسطيني في الأرض المحتلة عام1948م، منها عوامل اقتصادية، وعوامل سياسية. إلى أن جاءت الأنباء في تجربة سينمائية للمخرج مشيل خليفي الفلسطيني، هو فيلم صور من ذكريات خصبة عام 1980م، عرض هذا الفيلم أثار ضجة في الأوساط السينمائية العالمية، الفنان هو من مدينة الناصرة، درس السينما في بروكسل (بلجيكا)، وقد أقدم بعد تخرجه على مغامرة إخراج فيلم كإنتاج مشترك بين شركته الخاصة التي أسسها في بروكسل التلفزيون البلجيكي, وقد تم تصوير مشاهد هذا الفيلم هو فيلم تسجيلي طويل في الأرض المحتلة عام 1948 في أراضي الضفة الغربية المحتلة عام 1967 بالذات في الناصرة رام الله نابلس في عام 1985 عاد ميشيل خليفي من جديد إلى أرض فلسطين ليصدر فيلمه الوثائقي (معلول تحتفل بدمارها). في أم الفحم بالذات تم إنتاج فيلم (نداء الجذور) بمساعدة الجمعية الثقافية تم التصوير بواسطة الكاميرا التلفزيونية، يتلخص الهدف الأساسي لهذا الفيلم في تفنيد المزاعم الصهيونية؛ حول أن الشعب الفلسطيني ليس له تاريخ أو ثقافة.

يؤكد المخرج على النتاج الحضاري للشعب الفلسطيني من خلال تصويره للآثار العربية الإسلامية في فلسطين المحتلة. لقد أصبحت أم الفحم مركزاً ثقافياً، لعب 1948 في عام 1960 تأسس فيها المجلس المحلي برئاسة الشيخ توفيق عسلية في عام 1985م، وأصبحت مدينة يرأسها هاشم محاميد، كما يرأس بلديتها اليوم للمرة الثانية الشيخ خالد إغبارية.

تعرف الصورة النمطية لمدينة أم الفحم لدى السلطة الصهيونية بأنها المدينة العربية الأكثر تطرفاً بسبب صمودها، واحتفاظ أهلها بوطنيتهم، وبغضهم الشديد للاحتلال الإسرائيلي، لهذا تحول سلطات العدو أرضيها إلى السلطة الوطنية الفلسطينية. يقام فيها بالعادة مهرجان المسجد الأقصى في خطر، ويحضره آلاف من العرب الفلسطينيين كل عام. لقد أصبحت ولادة الناصرة من أهم تجمعات عرب عام 1948م.

إن الطفرة العلمية والتكنولوجية تطغيان في حياة السكان في كل مجالاتها كما هو حاصل في دول الشتات؛ إذ يعتبر أبناء الشعب الفلسطيني من أكثر شعب العالم الثالث يبغي العلم والتعلم. ليعوض ما خسره من أرض وعقار ووطن، ويتجلى بالتجارة و الصناعة، وتوسيع معارفه، واستخدام خبراته فهو يعيش التحدي المزمن من التحديات يخلقن الأعاجيب. إننا نرى هذا الشعب الجبار يلملم طاقته، ويسعى إلى أن يكون في حلق الصهيونية، ويعكر حياتها، وينخر جسدها حتى الموت. ومن المسرحيات عدد لا بأس به من الكتاب الفلسطينيين أقدمهم: إميل حبيبي في مسرحية المأساة في (لكع بن لكع)، إذ أصدر الرائي اللامع حكاية مسرحيته سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948حتى آخر السبعينات، مروراً بأحداث الأردن لبنان معاهدة كامب ديفيد في ثلاثة فصول، ثلاثة جلسات أمام صندوق العجائب، إن حكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن.

لقد نشطت المسرحيات وتطورت في قرى الجليل أهمها فرقة (بلالين) التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. قد كانت أبرز العروض لها (ياسين الأعرج) لناظم حكمت تجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياته إخراجها لا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي. وقد رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد الأغاني ذات الصلة التي تخدم الأهداف الوطنية العامة والتي يريدون تحقيقها، أصبحت تلك الأناشيد مشهورة، تطبع على الأسطوانات، تباع في الأسواق، توزع على كل أنحاء فلسطين.

لقد لفت النظر إلى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين) مدى تطورها، وما قدمته من رقصات شعبية تجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب/1973م، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان، قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة، وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين، في 1975/4/28

شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً (مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي بلالين (بلا- لين) دبابيس كشكل كان قد سبقه المهرجان المسرحي الألفي البيرة أيلول /1973م، أتيح لتجربة بلالين أفلام نقدية تؤرخ سيرتها مثل عطية أب رميلة، فوزي السكري، آصف ضاهر[3]، إيليا الشملي، نجوى قعوار فرح. قد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أرقى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، تعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادةً سامح العبشي، أ. فرانسا أبو سالم، المسرحيات التي لـ (بلالين)هي قطعة حياة العتمة، نشرة احال الج الكنز، تع تخرفك يا صاحبي. يرى محمد شقير أن أبرز القضايا المضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

- انتقاد التخلف الاجتماعي.
- تسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية متخلفة، مثل (قطعة حياة العتمة) وفي مجموعة غسان كنفاني عالم ليس منا 1965م تطغى موضوع المنفى بشكل بارز. فقصة "جدران من الحديد" صورة شعر به لطائر ينتفض في قفصه دون انقطاع إلى أن يحتضر في سجن، ولكن النهاية غامضة هل يموت الطائر لأنه استنفذ قواه، أم هل يموت لأنه توقف عن الانتفاض. ومن قصصه مجموعة عن الرجال والبنادق، اتصال بين الحاضر والماضي، وتتمثل في العلاقة بين الآباء والأبناء فمفتاح المنزل القديم في الوطن السليب يشبه الفأس، وفي المنفى يكشف (الصغير) هويته، ويتحسس جذوره، ويكتشف الهوية معادل لحمل السلاح. وهذه هي المواضيع عن الرجال، والبنادق، والمخيم، والمعاناة، والشعور، والوعي بالمواجهة عبر الكفاح المسلح.وفي عام 1968م أصدر غسان كنفاني في بيروت مجموعته القصصية الرابعة عن الرجال والبنادق، والمدخل إلى المجموعة قصة تعود بنا إلى عام 1949م، وحياة البؤس في المخيم الفلسطيني.

وتنقسم هذه المجموعة إلى قسمين: القسم الأول: في أربع قصص قصيرة تشكل رواية غير طويلة. القسم الثاني: أربع قصص قصيرة أخرى تقدم كل منها معادلة فنية لنضال الفلسطيني ضد الجوع من أجل البقاء، ونضاله المسلح ضد الغزاة. ويرقم الكاتب القصص من (1) إلى (9) معتبراً إياها أجزاء متتابعة من عمل واحد، يقدم صورة نضالية للشعب الفلسطيني منذ ثورة المقاومة المسلحة التي انطلقت مرة ثانية في منتصف الستينات من القرن العشرين.

وقد ظهر في الناصرة مجموعة توفيق فياض (الشارع الأصفر)، تعبر عن هموم الفلسطيني اليومية والنفسية والحياتية بأسلوب مشحون بالعاطفة، وتجاوز هذه المجموعة طابع السرد لتصل إلى نوع جديد من التركيب الحديث مع تضمين القصة عدة أبعاد واقعية ورمزية، وتمتزج بين الوطن والتراث، فنكسب مضمونها الكفاحي والرمزي دون أن يهمل القضايا الاجتماعية اليومية، أو ترتبط قصص المجموعة بالصراع السياسي-الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة ولا تغيب عنها الروح التفاؤلية.

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى، وقد نشطت الحركة في المدارس إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي.

وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين مثل مسرحيات موليير وكورني وشكسبير، بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمنهم، فقد ظهرت مسرحيات جابر عثرات الكرام، وجريح بيروت، وعنترة العبسي، وصلاح الدين الأيوبي، ومملكة أورشليم، وطارق بن زياد، وفتح الأندلس. وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي وهما: خليل بيدس الذي أخرج بين عامي 1924-1928م في الناصرة مسرحية (السموأل) أو وفاء العرب لأنطوان الجميل، أما الثاني: فهو الشيخ محمد الصالح مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية عبد الكريم الخطابي التي تندد بالاستعمار الإسباني في المغرب وذلك بين عامي 1927-1928م.

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض، وفرقة رمسيس، وفرقة نجيب الريحاني) فعرضت مسرحياتها في القدس، فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها، فأقبلوا على التمثيل. ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين: فرقة نصري الجوزي إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها.

وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية، منها: جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة إسكندر أيوب، وقد مثلت رؤية هملت لشكسبير وكانت من أقوى الفرق التمثيلية، وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن يافا وعكا والقدس. وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في 1936/4/1م، وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة، وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي، رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له، وتحدى الجميع، وشجع فرقة (الحوزي) أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية، وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة، وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد، وحسين عفيفي.

من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة صاحب رواية وفود النعمان على كسرى أنو شروان التي طبعت في بيروت عام 1918م، ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.

ومن روادكُتَّابْ المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل إذ كتب مسرحية "شمم العرب" سنة 1914م، ومسرحية أخرى "وفاء العرب" سنة 1929م، كان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935م، وله مجموعتان "ذكاء القاضي"، و"العدل أساس الملك"، أو "لن أبيع أرضي"، و"عيد الجلاء"، و" فلسطين لن ننساك"، وفي عام 1934م قام المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي بتأليف مسرحية "في سبيلك يا وطن" وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم وهو من مواليد الناصرة، وكان يصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس، وله عدة مسرحيات مدرسية "السجناء الأحرار- غرام الميت- قبلة المحبة- صراع بين العلم والإيمان....الخ".

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية، ومثلت في القدس في الأربعينيات، ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا، وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية:

- "وطن الشهيد" عام 1947م.
- "شيخ الأندلس" 1949م.
- "حرب القادسية" 1951م.
- "الفداء" 1968م.

وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897م مسرحية "مصرع كليب" 1947م، "أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة 1966م، وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبى عدداً من المسرحيات عام 1938م، ومثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة، وهي "نساء وأسرار"، و" صبر وفرج"، و" قيصر روسيا ومصرعه"، و"أصل شجرة الميلاد".

وكتب غسان كنفاني من المسرحيات الباب، والبئي، وجسر إلى الأبد وصدرت جميعها سنة 1978م بعد استشهاده.

تأسس مسرح الغربال في شفا عمرو وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي، وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف، وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال في نحو نشاطاتها المتنوعة الأهداف. إلا أن سلطات الاحتلال

كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات، وقد تعرضت الفرق المسرحية إلى نوعين من الرقابة، فرقة تعمل داخل الخط الأخضر، وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية)، خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول إلقاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية. (وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت من العرض مسرحية " أنا راجع يما" لمسرح آذار، ومسرحية "رجال في الشمس"، (ومسرحية كان الموت ونحن على الميعاد) لمسرح أبناء شفا عمرو. ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن يعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة، وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح، والمسرحيتان هما (ثمن الحرية) لمسرح عبلين، ومسرحية (الناطور) لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة. كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية يوم الطاحونة يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون، واحتجزت الرقابة نص مسرحية (إجازة) لمسرح الغربال ستة أشهر، ثم اضطرت إلى السماح بعرضه. وإن فرقة الغربال في شفا عمرو تأسست عام 1967م، وقد قدمت الكثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر (رجال في الشمس- بنادق السيدة كرام- الملك هو الملك- والحضيض-الصوت الغجري). كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية (كفى) التي عرضها على خشبته، وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين وقد عقد في شفا عمرو بتاريخ 6,7و8 /1982/9م. وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل. وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان هما (ثمن الحرية لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي) وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي" وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي فنشأت في عام 1982م المؤسسة الشعبية للفنون، ومقرها (حيفا) ويديرها الشاعر سميح القاسم. ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج، والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية؛ وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية، كشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب) بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية، وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل ولايزال على مرأى وسمع العالم كله.

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها (يونس الأعرج) ل ناظم حكمت، وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، وقد رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة التي تخدم الأهداف الوطنية

العامة التي يريدون تحقيقها، وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة تطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين. وقد لفت النظر إلى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين) ومدى تطورها وما قدمته من رقصات شعبية، وتجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب/1973م، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت على إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين، وفي 1975/4/28 شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي بلالين، (وبلا–لين)، ودبابيس، وكشكول، وكان قد سبقت المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول/1973 م، وأتيح لتجربة بلالين أفلام نقدية تؤرخ سيرتها مثل عطية أبو رميلة، وفوزي السكري، وواصف ضاهر، وإيليا الشوملي، ونجوى قعوار فرح. وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادة سامح العبوشي، أو فرانسوا أبو سالم، والمسرحيات التي ل (بلالين)هي قطعة حياة، والعتمة، ونشرة أحوال الجو، والكنز تع تخرفك يا صاحبي. ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

1) انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة: مثل (قطعة حياة) و(العتمة).
2) معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني، وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعتمة).
3) النقد الحاد للأفكار الغريبة التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).
4) إبراز أهمية الأرض، وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها، ثم صيانتها من طمع الغرباء والغزاة (الكنز).
5) تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال، وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية في (العتمة).
6) إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخيرات المادية (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948 م، إذ قررت إنشاء جريدة المسرح أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها تقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق بإحدى المدرس أو على ناصية إحدى الشوارع بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً، وقد أسست الفرقة أيضاً مجموعة أصدقاء (بلالين) التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح، ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران ومناصريها، ولكي تغطي الفترات الواسعة بين عروض المسرحية، قدمت (بلالين) كثيراً من العروض الخفيفة التي أطلقت مجازاً اسم بستان (بلالين)؛ وذلك أن هذه الأعمال المسرحية القصيرة كانت تجري في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة.

وقد كان أبرز العروض (يونس الأعرج) لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أن أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والغنيات ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها، فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين، وقد لفت النظر نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب عام 1973م؛ إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان آتية من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة ، وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين.

أما الكاتب اللامع إميل حبيبي ومسرحية المأساة في (لكع بن لكع) فقد أصدر الروائي حبيبي حكاية مسرحية لكع بن لكع راوياً سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948م حتى أواخر السبعينات مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاهدة كامب ديفيد في ثلاث فصول أو ثلاث جلسات أمام صندوق العجب، وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان ولا نشعر بترابط الأحداث أو تناميها، فكل فصل قائم بذاته، وكل مشهد وحدة مستقلة، ويصدر حبيبي مسرحية بحديث نبوي شريف يستخدمه عنوانها "لا تقوم الساعة حتى يتولى أمور الناس لكع بن لكع"، واللكع هو اللئيم والعبد والأحمق ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره. وكان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط، ودنو نصر الشعب، والإهداء إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً)، فالأول الفلسطيني تحت الاحتلال، والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود، ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تتصدر المشهد الأول من الجلسة الأولى أنا معكم أشد على أياديكم وأبوس الأرض تحت نعالكم .. وأقول أفديكم.. فمأساتي التي أحيا نصيبي من مآسيكم.. تروعهم وتخريب اقتصادهم وسلبهم كل ما يملكون من وجود وما ادخروا عبر القرون. وفي عام 1968م أصدر غسان كنفاني في بيروت مجموعته القصصية الرابعة عن الرجال والبنادق، والمدخل إلى المجموعة قصة تعود بنا إلى عام 1949م وحياة البؤس في المخيم الفلسطيني. وتنقسم هذه المجموعة إلى قسمين: القسم الأول في أربع قصص قصيرة تشكل رواية غير طويلة، القسم الثاني أربع قصص قصيرة أخرى تقدم كل منها معادلة فنية لنضال الفلسطيني ضد الجوع من أجل البقاء، ونضاله المسلح ضد الغزاة. ويرقم الكاتب القصص من (1) إلى (9) معتبراً إياها أجزاء متتابعة من عمل واحد، يقدم صورة نضالية للشعب الفلسطيني منذ ثورة المقاومة المسلحة التي انطلقت مرة ثانية في منتصف الستينات من القرن العشرين.

التمثيل والمسرح

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى، وقد نشطت الحركة في المدارس إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي.

وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين، مثل مسرحيات موليير، وكورني، وشكسبير. بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمتهم فقد ظهرت مسرحيات جابر عثرات الكرام، وجريح بيروت، وعنترة العبسي، وصلاح الدين الأيوبي، ومملكة أورشليم، وطارق بن زياد وفتح الأندلس، وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي؛ وهما خليل بيدس الذي أخرج بين عامي 1924- 1928 م في الناصرة مسرحية (السموأل) أو وفاء العرب لأنطوان الجميل. أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية، وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية عبد الكريم الخطابي التي تندد بالاستعمار الإسباني في المغرب وذلك بين عامي 1927- 1928م.

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض، وفرقة رمسيس، وفرقة نجيب الريحاني) فعرضت مسرحياتها في القدس، وألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها، فأقبلوا على التمثيل. ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة نصري الجوزي إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها.

وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية منها: جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة إسكندر أيوب، وقد مثلت رؤية هملت لشكسبير وكانت من أقوى الفرق التمثيلية.

وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن يافا وعكا والقدس. وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في 1936/4/1م وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان، راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة، وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له، وتحدى الجميع وشجع فرقة (الحوزي)

أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية، وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة، وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي.

من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة صاحب رواية وفود النعمان على كسرى أنو شروان التي طبعت في بيروت عام 1918م، ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.

ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل، إذ كتب مسرحية "شمم العرب" سنة 1914م، ومسرحية أخرى "وفاء العرب" سنة 1929م.

وكان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935م وله مجموعتان "ذكاء القاضي" و"العدل أساس الملك"، أو" لن أبيع أرضي"، و"عيد الجلاء"، و" فلسطين لن ننساك"، وفي عام 1934م قام المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي بتأليف مسرحية "في سبيلك يا وطن" وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت إستيفان جوزيف سالم وهو من مواليد الناصرة وكان يعلم اللغة العربية في بيت لحم والقدس، وله عدة مسرحيات مدرسية "السجناء الأحرار- غرام الميت- قبلة المحبة- صراع بين العلم والإيمان....الخ."

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية، ومثلت في القدس في الأربعينيات، ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا.

وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية:

"وطن الشهيد" عام 1947م، "شيخ الأندلس" 1949م، "حرب القادسية" 1951م، "الفداء" 1968م.

وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897م مسرحية "مصرع كليب" 1947م، " أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة 1966م وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام 1938م، مثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة وهي "نساء وأسرار"، و" صبر وفرج"، " قيصر روسيا ومصرعه"، "أصل شجرة الميلاد".

تأسس مسرح الغربال في شفا عمرو وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف، وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال في نحو نشاطاتها المتنوعة الأهداف. إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات، وقد تعرضت فرق المسرحية نوعين من الرقابة فرقة تعمل داخل الخط الأخضر وأخرى

في خارج خط الجدار (الضفة الغربية) خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول القاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية (وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت من العرض مسرحية " أنا راجع يما" لمسرح آذار ومسرحية "رجال في الشمس" (ومسرحية كان الموت ونحن على الميعاد) لمسرح أبناء شفا عمرو ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن يعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح ، والمسرحيتان هما (ثمن الحرية) لمسرح عبلين ومسرحية(الناطور) لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية يوم الطاحونة يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون، واحتجزت الرقابة نص مسرحية (إجازة) لمسرح الغربال ستة أشهر ثم اضطرت إلى السماح بعرضه. وإن فرقة الغربال في شفا عمرو تأسست عام 1967م وقد قدمت ا لكثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر (رجال في الشمس–بنادق السيدة كرام–الملك هو الملك–والحضيض–الصوت الغجري). كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية (كفى) التي عرضها على خشبته، وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين وقد عقد في شفا عمرو بتاريخ 6,7و8 /9/ 1982م. وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل. وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان هما (ثمن الحرية لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي) وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي"، وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين، وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي، فنشأت في عام 1982م المؤسسة الشعبية للفنون ومقرها (حيفا)، ويديرها الشاعر سميح القاسم.

ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية؛ وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية كشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب) بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية، وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل، ولايزال على مرأى وسمع العالم كله.

وقد كان أبرز العروض (يونس الأعرج) لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أن أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والأغنيات ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها، فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين، وقد لفت النظر نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب عام 1973م، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير

التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان آتية من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة، وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين.

ومع ذلك ظل هذا الشعب الجبار صامداً لا تهزه العواصف والنكبات، يعتمد على مكونات التقدم والحضارة وعلى رأسها طلب العلم والمعرفة، حتى قضى على الأمية، وأصبح شعبنا في طلائع الشعوب العربية انفتاحاً وتطوراً، وقد ساعدته الغربة في تجدد معارفه وخبراته، وتألق البعض منهم في السياسة والاقتصاد. ومنهم من استلم مراكز دولية وإقليمية عالمية. مثلاً كشف أن المؤسسة الاسرائيلية تخضع للمعارضة والمواجهة والمقاومة أكثر مما تستجيب للمسالمة والتفاؤل أو الإيجابية.

التمثيل والسينما:

لقد كان الفلسطينيون من أوائل من بنى الأستوديوهات في البلاد العربية، وقد قصرت الدعاية في إعطائهم حقهم، وإليك عزيزي القارئ نبذة عن نشاط أسرة لاما من منطقة بيت لحم من نشاطات تصوير أفلام واستيديوهات وأفلام:

الفنانين والممثلين الفلسطينيين الأوائل: قام السيد عبد الله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجراً إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية، وتزوج من فلسطينية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة) في عام 1850م، وانجبت له ثلاثة أبناء "عيسى، إبراهيم وبدر"وقد تعلم إبراهيم وأخوه بدر فن التمثيل والكتابة والإخراج وقررا التوجه إلى حيفا بفلسطين، ليؤسسا مركزاً للتمثيل هناك، وسافرا ولما أبحرا في باخرة قاصدين مصر أولاً، ولدى اقترابهم من ساحل الإسكندرية تعرض بدر لوعكة صحية فنزلا إلى المدينة للعلاج.

فاستأجرا بيتاًلا فيها وطاب لهما المقام وقررا العمل بالسينما المصرية فأسسا شركة "كوندور فيلم "عام 1927م في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تصور في مصر. وكان أول فيلم قدماه فيلم روائي مصري صامت في تاريخ السينما المصرية، وهو(قبلة لأفلام والفنانين السينمائيين).

في مطلع القرن العشرين وتحديداً في العقد الثالث ظهر الأخوان بدر وإبراهيم لاما اللذان اتخذا مهنة التمثيل والتصوير والإخراج السينمائي، وذلك في تشيلي بأمريكا الجنوبية، وعمدا إلى العودة للعمل في موطنهما فلسطين، وإليك عزيزي القارئ نبذة قصيرة عن جهودهما وما قدماه من ولادة التمثيل السينمائي:

بدر عبد الله إبراهيم الأعمى (لاما) ولد بتشيلي في 1907/4/23 م.

وهو ممثل سينمائي فلسطيني هاجر في بداية حياته إلى أمريكا الجنوبية، ثم رجع مع أخيه إبراهيم إلى مصر بالباخرة، ومعهم المعدات والكاميرات وكل ما توفر لهم من أجهزة للعمل في حيفا، ولكن بسبب بدر توجها إلى الإسكندرية للاستشفاء، وهناك استقرا وكونا ثنائياً ناجحاً، وعملا معاً في الكتابة والتمثيل والإخراج. ثم أسسا سوياً شركة إنتاج سينمائي تدعى كوندر فيلم. وعقب انتهائه من فيلم (البدوية الحسناء) في عام 1947 م، أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على أثرها في 1947/10/1. وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكراه، وبعد وفاة بدر: اختار إبراهيم ابنه سمير عبد الله ليحل محل عمه بدر، فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام 1948, والممثلة عفاف شاكر في فيلم (سكة السلامة) في عام 1949م، والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام 1951م، والممثل بشارة واكيم في فيلم (كنز السعادة)، والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم(القافلة تسير). وفي غفلة من الزمن اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات استوديوهات لاما بما فيها من أشرطة أفلام. وتوالت النكبات على العائلة، ودب الخلاف بين إبراهيم وزوجته انتهى بموت إبراهيم في ليلة 12 مايو 1953. وتراكمت الضرائب على الاستديوهات انتهت بختمها بالشمع الأحمر، وانهارت العائلة. أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة المرحوم بدر فلم تقم إلا بدور بطولة واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام 1953 مع عماد حمدي، ومحسن سرحان، وزهرة العلا، ثم اعتزلت السينما لتكرس حياتها لبناتها وأحفادها. أما سمير عبدالله إبراهيم لاما وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي بما فيه تجربته القصيرة في لبنان في الستينات من القرن العشرين كأفلام (وادي الموت) و(صقر قريش)(الماضي قاهرون) إلا أن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السينمائي).

أهم افلامهم السينمائية:

- قبلة الصحراء 1927
- معروف البدوي1935
- فاجعة فوق الهرم 1928
- الهارب 1936
- معجزة الحب 1931
- عز الطلب 1937
- شيخ الماضي 1934

- نفوس حائرة 1938
- الكنز المفقود(قيس وليلى) 1939
- عريس الهنا 1944
- رجل دين بين امرأتين 1940
- البيه المزيف 1945
- البدوية الحسناء 1947
- ابن الصحراء 1942
- صلاح الدين الأيوبي

إبراهيم لاما:

سبق لأبيه عبد الله إبراهيم سعيد الأعمى، حارة الفرحية في بيت لحم ولد فيها في منتصف الصحراء) إذ عرض في سينما "الكوزموجراف" في الإسكندرية.

وفي عام 1930 انتقل الأخان إلى القاهرة بعد أن اتسعت مشاريعهما السينمائية بعدما قدما فيلمهما الثاني (فاجعة فوق الهرم)عام 1928م، بطولة بدر لاما، وفاطمة رشدي، ثم أسسا استوديو لاما.

إبراهيم لاما هو أول من صور في غابات السودان، وكينيا، وأحراشها ليصورفيلمه (الحلقة المفقودة) عام 1948م، والقافلة تسير عام 1951م.

قدم إبراهيم لاما للسينما المصرية 30 فيلماً خلال 24 سنة، وعمل مع كبار النجوم مثل" فاطمة رشدي، آسيا داغر، ماري كويني، بهجة حافظ، زكي رستم، أمينة رزق. بديعة مصابني، رجاء عبده، مديحة يسري، ليلى فوزي، شادية، بالإضافة إلى شقيقه بدر وابنه سمير.

تعرض الاستديو لحريق والتهمت النيران كل محتويات استديوهات لاما من أشرطة الأفلام، وتوالت النكبات، وتراكمت الضرائب على الاستوديوهات، ثم تبعها إغلاقها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة. ودب الخلاف بين إبراهيم وزوجته مما جعل إبراهيم يقتل زوجته بمسدسه ثم انتحر.

الفصل الثامن

مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي، ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفريغ فلسطين من سكانها العرب، وإحلال يهود العالم محلهم والتقت دعوتهم مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا.

وقد وجدت بريطانيا مصلحتها بزرع شعب غريب في قلب فلسطين لمنع الجناح العربي في أفريقيا عن الجناح العربي الآسيوي، وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله.

تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة، فأصدرت الحكومة البريطانية وعدها المشؤوم وهو وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بتاريخ 2/أكتوبر/1917م، الذي ينص منح الصهاينة وطن قومي لهم في فلسطين بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب، وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدساً لدى السلطة البريطانية وعملت كل المستحيلات في تنفيذه، رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي من مظاهرات وعنف كانت تجابه بقسوة ظالمة. وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام 1918 حتى عام 1948 أي ثلاثة عقود، أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته في تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية؛ مثل ميناء حيفا، ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية، مثل مطاري اللد وقلندية، وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها. كما خلفت بريطانيا ما أقامته من معسكرات، وسجون، ومراكز الأمن، ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم ...الخ)، إلى جاب الهجرة الصهيونية التي تم في عهد انتدابها؛ إذ كان عدد اليهود بفلسطين وقت انتدابها 56000 فرداً، وأصبح عددهم بعد انسحابها 650000نسمةً. كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين، وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين، ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدمة لمعارضين لسياستها، وتعد بآلاف والسجون والمعتقلات والتشريد، وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر لعرب فلسطين.

1- مذبحة قريتي بلد الشيخ وحواسة عام 1947/12/31

أمام باب مصفاة بترول حيفا، ألقى الصهاينة وهم في داخل حافلة مصفحة قنبلة قتلت عدداً من العمال العرب كانوا مجتمعين بفسحة الباب، ووصل الخبر إلى العمال في الداخل ثار العمال العرب، وأكثرهم من قريتي حواسة وبلد الشيخ هاجموا العمال اليهود الموجودين

بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد، وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم. عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمنتين ليلاً فرموها بالقنابل اليدوية، وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة، وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ 30 شهيداً وجريحاً، وأحرقوا عشرة بيوت.

2- مذبحة قرية سعسع قضاء صفد في 1948/2/14

شنت عصابة البالماخ الصهيونية هجوماً على قرية سعسع دمرت فيها 20 منزلاً فوق أصحابها وأسفر الهجوم عن 60 نسمةً معظمهم من النساء والأطفال وقد تماهى العدو بهذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

3- مذبحة رحوفوت في 27/2/ 1948 قرب حيفا

حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحبوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب الأمر الذي أسفر عن استشهاد 27 عربياً، وجرح ستة وثلاثين آخرين.

4- مذبحة كفر حسينية في 13/5/ 1948

قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية، وعملت على تدميرها، وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.

5- مذبحة بنيا ميناه في 1948/5/27

لقد حدث في هذا الموقع مذبحتان حيث نسف قطاران أولهما تم في 5/27 /1948 ، واسفر عن استشهاد 24 فلسطينياً، وجرح أكثر من 61 آخرين، وتمت العملية الثانية في 5/31 /1948 حيث استشهد أكثر من 40 عربياً وجرح 60 آخرون.

6- مذبحة دير ياسين في 1948/4/9

مجزرة ارتكبتها منظمتان صهيونيتان إرهابيتان هما الأرغون والتي يرأسها مناجيم بيجن رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد، والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاماً، وتم الهجوم باتفاق كسبق مع منظمة الهاجاناه وراح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من أهالي القرية، معظمهم مدنيين عزل. وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل المحرمة دولياً هي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها، والسيطرة على فلسطين العربية وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب، وحراب جنودها المسلطة على عرب فلسطين.

7- مذبحة الطنطورة في 22/5/ 1948

هاجمت كتيبة 23 التابعة للواء الإكسندروني ليلاً قرية الطنطورة، واحتلتها بعد ساعات، وانهمك الجنود الصهاينة بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور، وقتل من يقابلوه بعد أن قسموا بعضهم إلى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم التسعين شهيداً من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة، ولم يكشف الخبر عنهم إلا قيام طالب جامعي يهودي بتقديم رسالته والتي خصها في المذبحة، وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء، وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.

8- مذبحة قرية الدوايمة في 1948/10/29

هاجمت الكتيبة التابعة لمنظمة ليحي الصهيونية بقيادة موشي ديان قرية الدوايمة في منتصف الليل، وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب. وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل، وقتلوا كل من صادفهم من السكان ونسفوا بيت المختار. وقد لجأ بعض المسنين إلى مسجد القرية واحتموا فيه، وقتل منهم 75 رجلاً كما لجأت 36 عائلة إلى مغارة البلدة، وفي اليوم الثاني وصلتهم قوات الإرهاب جميعاً بالقنابل والرشاشات، وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل إلى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والثياب وقد جرى اقتناصهم وقتلهم. كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهاينة الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة والتي لم يكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة حداشوت الإسرائيلية تحقيقاً عنها، وقد أقام الصهاينة مستعمرة "أماتزيا" على أرض القرية المنكوبة.

9- مذبحة يازور قرب يافا في كانون أول عام 1947

تقع القرية على مفترق طرق تعرضت القوافل الصهيونية إلى عنف المقاومة العربية، كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركابها وكانوا سبعة، فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه بيجال يادين أمراً إلى قائد البالماخ بيجان آلون بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية، تتضمن نسف وإحراق المنازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في 22/كانون الثاني/ 1949 أي بعد 30 يوماً من حادث الحراسة، وتولى إسحق رابين عمليات البا لماخ فهاجم القرية فجر ذلك اليوم، ونسفت قواته العديد من المنازل والمباني منها مصنع الثلج. وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل 15 فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام، وتعود أهمية هذه المذبحة إلى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة، كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة ولم تنشر تفاصيل الجريمة إلا عام 1981.

10- مذبحة شرفات في 1951/2/7

في الثالثة من صبيحة يوم 1951/2/7 وصلت سيارات قادمة من القدس، وعلى ثلاثة كيلو مترات ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة، توقفت حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً، واجتازوا خط الهدنة، وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة، وأحاطوا ببيت المختار، ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانها ونسفوها بمن فيها، وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم والتي أصابت أهل القرية. وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى وثلاث نساء، وخمسة أطفال، وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.

11- مذبحة بيت لحم في 1952/1/26

وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح الطوائف الشرقية قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد 2كم من بيت لحم، وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية، فقتل صاحب المنزل وزوجته، وطفلان وجرح طفلان آخران من العائلة.

12- مذبحة قرية قلمة في 1953/1/29

هاجمت سرية معززة تتألف من 120-130 جندياً صهيونياً قرية قلمة العربية الواقعة في الضفة الغربية حيث دكت القرية بمدافع الهاون، فهدمت بعض بيوتها وخلفت تسعة شهداء مدنيين إلى جانب عشرين جريحاً.

13- مذبحة قلقيلية في 1953/8/28

حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء الأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين، ولم يكتم الصهاينة غضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية حتى أن موشي ديان صرح بقوله "سأحرث قلقيلية حرثاً"، وذلك أثر فشل عدة محاولات لاحتلالها وبشكل خاص في اشتباك يونيو 1953. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين أول عام 1953 تسللت إلى قلقيلية مفرزة الجيش الصهيوني تقدر بكتيبة مشاة، وكتيبة مدرعات، تساندها مدفعية ميدان، ونحو عشر طائرات مقاتلة, فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف، وزرعت بعض الألغام في الطرق في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من المستوطنات القريبة، وقد تحركت في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه، وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة, لكن الحرس الوطني أفشل الهجوم وتراجع العدو بمدرعاته, وبعد ساعة عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات، وأحبطت العملية على يد النجدات القادمة من أهل القرية وما جاورها، وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة.

تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة فزادوا قواتهم حوله وحشدوا أعداداً كبيرة حوله، وقد استغل العدو هذه الظاهرة فقذفوا التجمعات بالمدفعية الميدانية، وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها، وتقدمت آليات العدو إلى مركز الشرطة واحتلوه، ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت. وقتل كل من يصادفهم في الطريق وكان حصيلة المذبحة الغير متكافئة قرابة سبعين شهيداً من سكان القرية وما حولها، إلى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيت أهل البلدة وما أكثرها. لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني والقريبة من القرية واصطدمت بألغام العدو التي زرعها في الطريق فتكبد بعض الخسائر، وقام بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدهم بعض الخسائر.

14- مذبحة قيبية في 15/ 1953/10

في كتاب صدر في تل أبيب عام 1969 باللغة العبرية، يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة 101 الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية، والتي يرأسها "آرييل شارون" ونائبه شالوم والذي يحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام 1956. وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام 1953م، بلغت ذروتها في مذبحة "قيبية" القرية الوديعة الواقعة في الضفة الغربية، وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء انتقامي لمقتل امرأة يهودية مع طفلها، كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية، إلا أن مجلس الأمن الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية بأن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد لذلك لابد من الانتقام. وأسفرت مذبحة قيبية عن سقوط 19 قتيلاً من المدنيين العزل، ونسف 41 بيتاً، ومسجداً، وخزان مياه القرية، وقد أبيدت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من 12 فرداً.

وتعد مجزرة قيبية علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية، فضلاً عن حقوق الإنسان، ونموذجاً سافراً لسياستها الإرهابية، والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستنكارات الخجولة، وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

15- مذبحة دير أيوب في 1954/5/29

في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثاني عشرة, وعند وصولهم إلى نقطة قريبة من القرية وعلى بعد 400 متر من خط الهدنة، فاجأهم بعض الجنود الصهاينة، وهربت طفلة فأطلقوا عليها النار، وأصابوها في فخذها، وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى.

أسرع أهل الطفلتين إلى المكان المذكور، وشاهدوا نحو اثني عشر جندياً يسوقون أمامهم الطفلتين باتجاه بطن الوادي في الجنوب، حيث أوقفوهما وأطلقوا عليهما النار واختفوا وراء خط الهدنة، وقد توفيت إحدى الطفلتين مباشرة، وفي اليوم توفيت الأخرى بالمستشفى الذي نقلت إليه.

16- مذبحة نحالين في 1954/5/29

قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من 300 من اجتياز خط الهدنة، وتوغلت في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات حتى وصلت إلى قرية نحالين، بالقرب من بيت لحم، حيث ألقيت كمية من القنابل على تجمعات من سكان القرية، وبثت الألغام في بيوت القرية ومسجدها، وأسفرت المجزرة عن استشهاد أحد عشر من سكان القرية وجرح أربعة آخرين.

17- مذبحة كفر قاسم 29/أكتوبر 1956

في 1956/10/29 وعشية العدوان الثلاثي على مصر، تولت قوة من الجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع عليها بلدة كفر قاسم في منطقة المثلث على الحدود مع الأردن بالضفة الغربية، وقد تلقى قائد القوة ويدعى الرائد شموئيل ملنيكي الأوامر بتقديم موعد حظر التجول في المنطقة إلى الساعة الخامسة مساءً، وهو الأمر الذي يستحيل تنفيذه خاصة أولئك الذين يعملون خارجها، وهو ما نبه إليه مختار القرية حينها إلى قائد القوة الإسرائيلية. كما تلقى شموئيل ملنيكي توجيهات واضحة من العقيد (شدمي) "بقتل العائدين إلى القرية بقوله: الأفضل أن يكون هناك قتل لا نريد اعتقالات، دعنا من العواطف) وكان أول الضحايا أربعة عمال رحبوا الجنود بكلمة شالوم، فردوا عليهم التحية بحصد ثلاثة منهم بينما نجا الرابع ظناً منهم بأنه خر أرضاً مع الآخرين ولقي مصرعه, كما قتلت مجموعة منهم 2 امرأة كن عائدات من جمع الزيتون، وذلك بعد أن استشار الملازم جبرائيل دهان القيادة باللاسلكي، وعلى ساعة ونصف الساعة سقط 49 شهيداً و13 جريحاً هم ضحايا المذبحة. وقد لوحظ بأن جنود الاحتلال شلحوا الضحايا نقودهم وخواتم أيديهم وساعاتهم اليدوية!

ظلت السلطات الإسرائيلية ملتزمة الصمت عن المجزرة أسبوعين إلى أن اضطرت إلى إصدار بيان من مكتب رئيس الدولة عقب تسرب أنباء إلى الصحف ووسائل الإعلام، وتغطية على الجريمة أجريت محاكمة ثلاثة عشر منهم على رأسهم العقيد شدمي، وأسفرت المحاكمة عن تبرئة شدمي حيث شهد لصالحه موشي حاييم، بينما عوقب ملنيكي بالسجن 17 عاماً، وعوقب دهان وشالوم عوفر بالسجن 15 عاماً، في حين حكم على خمسة آخرين بأحكام تصل إلى سبع سنوات، وحظي الباقي بالبراءة.

وإذا كانت محاكمة المتهمين الصهاينة بدأت بعد عامين من المذبحة فإنه قبل عام 1960 كانوا جميعاً خارج السجون أحراراً حيث أصدر إسحاق تسفي رئيس دولة إسرائيل عفواً عنهم. بعدها سارع الملازم دهان بالرحيل إلى باريس معلناً سخطه على التمييز التي تمارسه السلطات بين السفارديم وهم اليهود الشرقيين[2].

المراجع:

(1): فلسطين بالذاكرة

(2): كل المجازر الواردة، مصدرها (الذاكرة الفلسطينية إنترنيت).

الفصل التاسع

سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة "إسرائيل"

سياسة الانتداب البريطاني والصهيوني في شعب فلسطين منذ أن وطئت بريطانيا فلسطين واحتلتها عام 1948م، عملت على تنفيذ وعد بلفور في إقامة وطن قومي لليهود بكل ما يلزم من تيسير الهجرة، وسلخ أراضي، وتشجيع المؤسسات من مدارس وجمعيات ونوادي، وطرق، ومواصلات، ومرافق، من موانئ بحرية ومطارات، ومعسكرات، وكبح لأصوات المعارضة؛ من اعتقال، وإعدامات لشعب فلسطين, وبقيت بريطانيا ثلاثين عاماً سنة 1938م، وقد أمنت للصهيونية دولة قائمة على طبق من ذهب، تاركة شعب فلسطين يئنّ تحت احتلال إسرائيل، وزادت المسلمين في عقر ديارهم، وساعدتهم في التمادي على حكام العرب أجمعين. ومن الممارسات التي واجهها الفلسطينيون والعرب من بريطانيا و"إسرائيل":

في الزراعة: أرض فلسطين تربتها خصبة، ومناخها معتدل، من حرارة ومطر وأودية دائمة وسيلية، وينابيع دائمة، وخبرة قديمة متطورة، كلها جعلت فلسطين غنية بزراعتها. والكل يعلم بهذه الشهرة والغنى من قديم الزمان. لذلك كانت محط أنظار الطامعين من جوار وأغراب مرت بها القوافل العالمية، وداستها الجيوش الغازية، وتقلبت فيها السلطات والعروش، وطرحت بأسواقه بضائع الأمم والشعوب من توابل هندية، وكتان، و قطن، و سكر مصري، و بن يمني، ونسيج دمشقي، و صباغة فينيقية، وزجاج فخار، نحاس كنعاني، حديد فلسطيني، سيوف شامية بأشكالها وأنواعها، و نماذج، ومجسمات منحوتة في الخشب والحجر والرخام والعظم، إلى جانب القنب، والأرز، والحبوب، والبقول بأنواعها، وكانت التجارة نشيطة بين الأقاليم والقوافل تسعى بين أقطارها السفن، تمخر البحار محملة بكل البضائع الخيرة والمؤن، تعين المغيث، وتسد أفواه الجائعين، وتطفي السعادة على وجه المحرومين، تبعث الأمل في قلوب القانتين، ولا زالت الفنون وقوالبها تتمتع بها منطقة القدس ورام الله وبيت لحم؛ من حفر على خشب الزيتون لصنع نماذج متعددة وأشكال متنوعة؛ من ترصيع الخزف بالخشب، وما تنتجه الإناث في رام الله ومحيطها من أشغال غاية في الجمال من حياكة، وشغل الإبرة في تطريز الثياب، والتي نالت إعجاب نساء الغرب قبل إناث العرب، وخلقت أسواقاً رائجة للفنانين وما أكثرهم، تعوض ما سلبه العدو من أهل فلسطين، وباتت هذه الصناعة مصدر رزق لأكثر المواطنين تحت الاحتلال. هذا كان وضع أطماع الغزاة الطامعين ومما زاد مقامها العالمي ظهور الأديان السماوية فيها بركنها المقدس مدينة القدس الشريف. مدينة السلام والمحبة والإخاء المؤمنة برب العالمين، رب السماوات والأرض أجمعين. خلق الناس التي لا تعرف التعصب والتمييز والكراهية التي لا تقوم على الغدر مثل الدولة المنتدبة؛ عملت خلال الثلاثين عاماً في حكمها لفلسطين على تحقيق هدفها، مقاومة كل المعارضة لهذا الهدف، من قتل، إعدامات، سجون، نفي لكل النشطاء من أبناء فلسطين. بينما ساعدت الهجرة

الصهيونية، وشجعتها ودعمتها، قدمت للصهاينة وعصاباتهم الدعم العسكري، والحماية والتدريب المستمر أمام التجارة، وإغراق الأسواق بالحبوب بأسعار منافسة لأسعار الحبوب المحلية، مما أساء للتجار العرب، كذلك للبقول حتى الزيت صار له منافس في أسواق فلسطين. الهدف هو إفقار الناس هذا ما عبر عنه حاكم حيفا جورج ستيوارت في رسالته تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها، مما له من أثر في موجة الاستياء التي تعم سكان العرب في فلسطين إلى حد تجاوب معه القروين مع الحملات التحريضية المضادة للحكومة، يتابع هذا الحاكم في رسالته يقول: "فالأعمال في عكا وشفا عمر متوقفة في حيفا تكاد تكون جميع أنواع العمل التي تعود بالربح على العرب متدهورة، كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سرية أخذت تقتل الترانزيت فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يتوقف عن العمل، بل إن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة، قد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية أصحاب العمل اليهود يتعاملون إلا للمهاجرين من اليهود الجدد من العمال، إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة، والدخل شبه معدوم. أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية) فإنهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم بواسطة أية أعمال أخرى إن بعضهم يواجه الإفلاس، ليست حالة صاحب الأرض الكبيرة خيراً من ذلك بكثير، فهو مثقل بالدين ليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض، فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه، إنه ليجد من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول، يرى ساكن المدينة أن ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عنه من الهجرة اليهودية. أما البدو فإن عليهم إما أن يتحولوا إلى فلاحين، أو يهاجروا خارج فلسطين. فشردتهم واستولت على أملاكهم من عقارات، أثاث، أراضي بمراسيم سلطة غاشمة استغلت مناصرة الاستعمار أمريكا في الأوساط الدولية. من عمليات طرد عرب فلسطين من قراهم في 1/2/ 1951م، طرد إلى خارج فلسطين سكان 12 قرية فلسطينية تقع في وادي عارة في منطقة المثلث، طرد سكان أم الفحم ثم نسفت بيوتهم. اتبع الصهاينة سياسة الطرد الانتقائي الذي يقوم على اختيار لبضع عشرات من الرجال النشيطين من كل قرية، وطردهم خارج الحدود لتلحق بهم عائلاتهم، وقد طردت كذلك قبائل بأكملها مثل البقارة التي أجبرت على مغادرة بلدتها بالقوة العسكرية إلى الحدود السورية، وانتظم شبانها ورجالها البواسل في كل الانتفاضات والثورات التي حدثت من ثورات الأعوام 1929م، و1936م، و1948م، وكم عانت البلدة من حكم جيش الانتداب البريطاني وممارساته القمعية في تفتيش البيوت بحجة العثور على سلاح، فيخلط الجنود مؤن المواطنين مع بعض، ويخربون، ويسرقون ما طاب لهم، وذلك بغياب أصحاب البيوت من أهلها الذين أخرجوهم من مساكنهم، ليجمعوهم في أماكن خاصة، ويحظروا التجوال في القرية. كانوا يجمعون النساء والأطفال في باحة مكشوفة، أو في أحد البيوت التي تحوي باحة. أما الرجال فيجمعون في مركز آخر، ويجري استجوابهم من قبل الجنود تحت التهديد والضرب المبرح، وإذا تأكدوا أن صاحب البيت له صلة بالثوار يهدمون بيته بالمتفجرات، وكم

هدمت بيوت في كثير من قرى فلسطين، ومنهم قرية الفريديس. ومن ظلم سلطات الاحتلال انحيازها للمهاجرين الغرباء اليهود، ومنحهم كل عوامل القوة مثل: منحهم الأراضي الفلسطينية الخصبة من أملاك الدولة العثمانية. وتنفيذ أوامر المحاكم التي أوصت بإخلاء الفلاحين من أراضي اشتراها الصهاينة عن طريق وكلاء من مغتربين ليسوا من فلسطين كانوا استلموها من الدولة العثمانية مثل سهل مرج ابن عامر، ووادي الحوارث، ومنطقة الحولة.

1) إغراق الأسواق الفلسطينية بالمنتوجات الزراعية من حبوب وبقول، وعرضها لتضارب الإنتاج الزراعي الفلسطيني، وتقضي على حياة الفلاحين.

2) وضع الضرائب على البيوت والبضائع والأراضي، وتحذر من ترك الأرض بدون استغلال وإلا تسحب الأرض من صاحبها إذا تركها أكثر من سنتين بدون زراعة.

3) السماح للمهاجرين اليهود بالدخول وتشجيع الاستيطان، والتنسيق مع المنظمات الصهيونية لتنفيذ وعد بلفور الاستعماري، رغم وعودها للعرب بالحد من الهجرة عبر الكتاب الأبيض الأول والثاني.

4) عدم التزامها بقرار التقسيم ومحاولة ردع رجال الهاجاناة من احتلال المدن وبعض القرى وجيش بريطانيا لايزال على أرض فلسطين أي قبل إعلان انسحابه المقرر في /1948/5م مثل حيفا ويافا وصفد والعديد من القرى قضاء يافا.

5) تأسيس بريطانيا جيشاً لإسرائيل القادمة بإشراك الهاجاناة من جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وكان نواة الجيش الإسرائيلي، بينما كانت المشانق في عكا تعقد كل ثلاثاء من كل أسبوع لتقدم شهيداً على الأقل أسبوعياً، ولم نشاهد خلال هذه فترة الإعدامات أي مشنوق يهودي، علماً أن كثيراً منهم كانوا معتقلين في سجن عكا بعد أن ثاروا ضد الاحتلال البريطاني، وتعليق الجنود البريطانيين على فروع الزيتون وإعدامهم بالجملة، وكان المسؤول عن هذه الجرائم الإرهابي مناحيم بيغن الذي حكمت عليه بريطانيا بعد أن فجر فندق الملك داوود عشرون عاماً، وبعد ذلك أصبح رئيساً لوزراء إسرائيل. وقد زرت بريطانيا عام 1977م ولمست الاستنكار، وكانت حجة الحكومة البريطانية بأن الحكم سقط عنه لتقادم التنفيذ لامتعاض بين أساتذة جامعة درم وفي هذا السياق أعرض للقارئ الكريم قصة تعبر عن ردود فعل البشر في محاربة القهر والظلم.

كنت من سكان عكا وفي عام1947م وفي شهر آب سمعنا انفجاراً هائلاً هز المدينة بشكل عنيف، وكنت أعمل في مكتب أحمد الشقيري الملاصق لسينما البرج فوق بوابة عكا القديمة، وما هي إلا لحظات وقد رأيت سيارة بيك أب مغلقة من فوقها بغطاء، وهي تمشي باتجاه البوابة وأمامها شخصان بلباس جنود إنكليز، ويصرخون على الناس بالشوارع بالتزام المحلات، ولما خرجوا من البوابة لاقتهم سيارة جيب بريطانية قرب البوابة، وكان فيها جنديان من جنود الطيران (براشوت)، وعليها رشاش مركب على حامل، ولما رأى الصهاينة سيارة بريطانية أطلقوا عليها النار من رشاشاتهم، وقد أصابوا أحدهم الواقف خلف الرشاش (الهوشكز) فقتلوه فوراً، ولما رأى رفيقه ما حصل وكان يسوق السيارة، لحق بهم وقد ركبت دراجتي ولحقت بهم، وقالوا لي أنهم راحوا عن طريق صفد، وأخذت طريق مختصر أعرفه، ووصلت إلى شمال تل الفخار بعد عين العجلة، ووجدت الجندي قد سبق سيارة الإرهابين، ووقف وراء الرشاش وما أن اقتربت سيارة الإرهابين وعرفت سيارة الجندي وأرادت الرجوع حتى تهرب، فما كان من الجندي المفجوع بزميله إلا أن أطلق رشاشه على السيارة، وقتل سائقها، وانقلبت السيارة، وأخذ المساجين الذين فيها يهربون بين الزرع الجاف، فأخذ يضربهم ويلاحقهم برشاشه، ويصليهم نار حامية. وكان الأولاد أمامي عندما يرى أحدهم بين الزرع، يصرخ للجندي بقوله: مستر.. مستر.. هذا واحد فيلقى مصرعه.

وبعد أن تم الجندي مهمته دخل سيارة (الجيب)، ونقل رفيقه وضمه إلى صدره ولسان حاله يقول: "لقد انتقمت لك يا عزيزي"، ثم انطلق بسيارته راجعاً إلى حيث كان على شاطئ عكا الشرقي حيث نزل زملاءه، واليوم لا أعرف مصير ذلك الجندي الذي قتل منهم 22 سجيناً مع جنديين من رجال مناحيم بيغن.

كان الهدف عند منظمة شتيرن تحرير جماعتهم من سجن عكا؛ إذ كانت الخطة أن تذهب ثلاث سيارات بيك أب إلى مدرسة البنات، وهناك يقومون بغلق الشوارع خلف السجن، ثم يركبون سلالم بحجة تصليح الكهرباء، ويحفرون جدار السجن ويفجرونه بالاتفاق مع نزلاء السجن من اليهود، وهذا سبب الانفجار الذي عمل فتحة خرج منها السجناء اليهود ثم تبعهم السجناء العرب.

6) التعاون البريطاني مع المنظمات الصهيونية العسكرية مما رأيته:

- أن الشهيد أحمد الحنيطي جاء بسيارة مسلحة من لبنان قاصداً حيفا للقاء القوات الصهيونية عند عبور رأس الناقورة بين لبنان وفلسطين، أخبر الضباط الإنكليز رؤساء اليهود بهذه السيارة، ولما وصل الحنيطي إلى عكا حذره الأهالي بأن ينقل الأسلحة عن طريق البحر، ولكن الرجل رأى أنه سيتأخر في نجدة إخوانه في حيفا، وواصل طريقه، وبعد مغادرته عكا سمعنا من عكا انفجاراً ضخماً وعرفنا بعدها أن الشهيد دمر السيارة بالمتفجرات، واستشهد هو وزملائه، وقتل العديد من الصهاينة في مستعمرة موتسكن.

وقد نقل خبر السيارة إلى الصهاينة موظفون إنكليز في رأس الناقورة، ولو أنه أخذ بنصيحة العكاويين لنجا. وقد تبع ذلك الحادث مباشرة رد ثوار عكا.

- توجه أربعة من مهندسين الكهرباء الصهاينة في سيارة إلى نهاريا بحراسة مصفحتين بريطانيتين، وعند قدومها تصدت القوات العكاوية لهما، فعطلت سيارة الحراسة الأولى، وتابعت سيارة المهندسين طريقها وتناولها الحاجز الثاني، وألقوا عليها القنابل عن سطوح المنازل، فقتل السائق وانقلبت السيارة، وأخرج المقاتلون من فيها وقتلوهم انتقاماً للشهيد الحنيطي ورفاقه. لقد شاهدت تلك الأحداث وكنت أراها أمامي حتى أنني أذكر وأنا أرى جثث القتلى على الأرض وقد حمل أحد الشباب (شبريته) وصاح قائلاً: أمشوا فوق جثثهم، وقد حاولت بدوري أن أدوس ولم أكمل لأنني قرفت هذا المنظر، ولم أعد أميز وجه القتيل وقد دمر الرأس تماماً، وبين رعشات رجلي وهي تدوس وكأنني أدوس على فرشة إسفنج لم أكمل السير، وتألمت من هذا المنظر غير الأخلاقي أبداً.

7) تسليم الإدارة العسكرية البريطانية جميع معسكراتها وما فيها إلى العصابات الصهيونية، وكانت هذه المعسكرات عوناً كبيراً للسلطات الصهيونية ساعدتهم في مواصلة الحرب ضد العرب.

8) لقد أعانت حكومة الانتداب المهاجرين الصهاينة لإنشاء دولة ضمن دولة لإعلان الدولة الإسرائيلية التي يحتفل الإسرائيليون بقيامها في 28 نيسان من كل عام، بينما لم تسمح للعرب بأي جمعية أو منظمة أو إدارة يمكن اعتمادها لإدارة البلاد بعد رحيل الانتداب عن فلسطين.

هذا شيء من كثير مارسته حكومة الانتداب ضد شعب فلسطين العربي خلال ثلاثين سنة من الاحتلال من وعد بلفور مروراً بإخماد ثورات عرب فلسطين حتى الجلاء عن فلسطين عام 1948.

أما ما قامت به الصهيونية وما لديها من إعلام وما أكثره في تزييف الحقائق وقلب المفاهيم، وأركز على البعض منها:

إن فلسطين هي أرضهم وأن اليهود وعدوا بها، بينما الآثار تثبت عكس ذلك، وأن شعب اسرائيل قد انتهى في حملات نبوخذ نصر، ويوليوس اليوناني في القرن السابع ق.م، والقرن الأول ميلادي، حيث القائد الروماني طيطس دمر الهيكل ولم يعرف مكانه. إن الدين اليهودي يشكل قومية وهذا مخالف لكل مقومات القومية، فالديانة اليهودية معتقد؛ وليس هناك ما يجمع اليهودي اليمني باليهودي

الاسكندنافي، واليهودي الخزري مع اليهودي الافريقي، وإذا اجتمع خمسة من المهاجرين من بلدان مختلفة لا تجمعهم لغة ولا دم، وهم بحاجة إلى تراجم لتتم عملية التواصل فيما بينهم.

- قالوا إنهم انتصروا على سبعة جيوش عربية، وإن الواقع غير ذلك.
- إن جامعة الدول العربية تأسست عام 1945م، أي بعد الحرب العالمية الثانية والدول السبع كانت تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي، ولم يمض على استقلالها أكثر من ثلاثة أعوام. وكانت كلها مرتبطة بالإنكليز والفرنسيين. فالأردن كانت مرتبطة بالإنكليز، وجيشها يحكمه ويسيره جنرال جلوب باشا وهو القائد الفعلي للجيوش العربية العتيدة ،والذي عزله الملك حسين بن طلال وتخلص منه.
  - والعراق كان مكبلاً بمعاهدة مع بريطانيا وهي معاهدة 1936م، وأغلب ضباط الجيش من الإنكليز.
  - ومصر كانت تحكم بنظام ملكي، ومرتبط بمعاهدة مع بريطانيا، والجيش البريطاني جاثم على قناة السويس، وسورية كان لها جيش مستقل تنقصه المعدات والجنود المدربة؛ إذ قام الضباط الفلسطينيون عام 1949 – 1950 وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري بعد انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي.
  - والجيش اللبناني هو جيش مرتبط بفرنسا ولا يعنيه حرب إسرائيل لا من قريب أو بعيد. واليمن السعيد بعيد عنا آلاف الأميال، وتحت حكم الإمامة الذي كان يبيع إمامهم طوابع البريد في ديوانه.
  - والسعودية التي كان ملكها مشغول بتوطيد ملكه في الجزيرة العربية وليس عنده القدرة لتحدي الدول الغربية التي كانت تخطط للسيطرة على انتاج البترول، وبشكل خاص الشركات الأمريكية. وقد سبق للأمين العام للجامعة العربية "السيد عبد الرحمن باشا" ومعه وفد فلسطيني يرجونه بأن يشترط على الشركات بأن تقف حكومتهم مع حق الشعب الفلسطيني وبشكل محايد لا أن تساعد الصهيونية، ولم يقتنع الرجل بهذا الطلب الذي كان لو تحقق لما خرج الفلسطينيون من ديارهم.
  - هذه أوضاع الجيوش العربية التي تتبجح إسرائيل بأنها هزمت سبعة جيوش عربية، علماً أن شباب عرب فلسطين وقفوا ضد القوات الاسرائيلية، ولم تستطع الصهيونية احتلال أي قرية خاصة القرى التي كانت بالقرب من الجيش العراقي في منطقة جنين وطولكرم في بلدة الطيبة، إذ أن القوات العراقية ساندت ثوار فلسطين في قرية إجزم وعين غزال وجبع. واستطاعت هذه القرى أن تصمد بعد سقوط حيفا بأربعة أشهر.
  - كانت قوات الصهاينة تزيد عن 30 ألف جندي محترف، خاضوا مع الحلفاء في الحرب الكونية الثانية، وكان لديهم 32 ألف مقاتل مدربون احتياط.

- قبل الهدنة الأولى كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية.
- تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعوهم بالهدنة، واستغل الصهاينة هذه الهدنة فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل حربية جديدة ومنها الطيران فيما لم يوجد طائرة واحدة تدخل أرض فلسطين.
- إخراج جيش الإنقاذ من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية، التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحياناً مثل الأسلحة المصرية؛ التي كانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة، والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور يحتل قناة السويس.

هذا قليل من كثير، وتقصير الجامعة العربية العتيدة والتي بدأت بسبع دول والآن باتت تضم (21) دولة قطرية تتنافس مع بعضها، والضعف ينهش أهلها، وسفاؤها كلاب للأجانب، ولكن على أبناء جلدتهم أسود.

المراجع:

(1): أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير، مروان الماضي.

(2): بلادنا فلسطين ج1، مصطفى الدباغ.

(3): الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

الفصل العاشر

انتفاضات شعب فلسطين

لقد عرضنا ما قام به الانتداب البريطاني في فلسطين وشعبها العربي من نشاطات لتثبيت وعد بلفور، وقهر أصحاب البلاد، لكن الوضع بعد الانتداب ما فعلته الدولة المحتلة بشعب فلسطين الذي بقي فيها، والذي يقال عنهم عرب 1948، وكان عددهم 120ألف نسمة، مارست معهم ما يلي :

سمتهم السلطة المحتلة بسكان 1948، وأعطتهم الجنسية الإسرائيلية، ونفت عنهم الجنسية الفلسطينية التي كانوا يتمتعون بها رسمياً زمن الانتداب، وكان هذا القرار إجحافاً فرضوه عليهم، وجعل حياتهم في جحيم، وقد رأت السلطة بأن الرأي العام العالمي بات يميل شيئاً نحو العرب، وأزاح عنهم الأحكام العسكرية، ومنحهم حرية الحركة والعمالة المقننة، والتعامل بالتجارة والصناعة، وأعطت لبعض القرى تأسيس بلدياتها، وتأمين الميزانية المتواضعة في إحداث المرافق الأساسية من كهرباء وماء وهاتف. وكان هذا العطاء لا يبيح بالبناء إلا عن طريق رخصة رسمية من السلطات، وكانت الرخصة تكلف صاحبها الكثير من الوقت والمال، وفي بعض الحالات يأتي الرد بالرفض.

لقد تجلت العنصرية في أعلى مراتبها بكل عواملها، نذكر بعضها وما أكثرها:

- العمالة في الوظائف والعمال: هناك تمييز بين المواطن العربي والمستوطن في الوظيفة ولو تساوت المؤهلات، وكذلك بالعمالة ولو تساوت الخبرات أو زادت قدرات الفلسطيني الذهنية والمهنية.
- هناك تمييز بين الرواتب: فالمستوطن يحصل على راتب أعلى من نظيره العربي في المهنة والمؤهلات.
- التعليم: تعامل السلطات التعليم في أراضي عام 1948 معاملة من الدرجة الثانية، سواء ببناء المرافق فيها أو الميزانية المقدرة لكل منهما في المدارس العربية ومدارس المستوطنات.
- تعاني البلدات العربية من نقص في الأراضي المخصصة للبناء لأن السلطات صادرت أكثر أراضي القرية، وأعطت القسم الأكبر للمستوطنات.
- وضع النائب الفلسطيني بالكنيسيت: مع أن النائب العربي الممثل لأبناء شعبه بالقانون يحق له الدفاع عن طلبات من يمثلهم، وقد أصبح عدد النواب من عرب فلسطين يمثلون كتلة موحدة، لها كلمتها في البرلمان الإسرائيلي، رغم القرارات التي اتهم أعضاء المجلس الطابور الخامس وآخرون بالقنبلة الموقوتة، وتم طرد بعضاً منهم.
- وبعد احتلال إسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة، حاولت السلطات الإسرائيلية فتح باب اللقاء بين الضفة والقطاع مع إخوانهم العرب في إسرائيل، طمعاً بتأثير هؤلاء على (سكان عام 1948) على أخوتهم في الضفة والقطاع للتحول نحو إسرائيل، ولم يمضي سوى

شهور قليلة وقد تبين لهم أن أملهم ضاع هدراً. وسرعان ما وجدوا عكس ما خططوا له، وأن باتت العواطف العربية تتلاقى، ولم يتغير عند إخوتنا أي شعور بحب فلسطين من أرض ونبات وحيوان وسكن وسكان، وقد خاب ظنهم وسرعان ما أوقفوا هذه اللقاءات والتبادل بالسلع والمعدات، وطبقت إسرائيل سياسة الحكم العسكري عل الضفة والقطاع. ولما واجهت المقاومة الاحتلال بكل مقوماته السياسية عن طريق رؤساء البلديات والمظاهرات بالضغط على هؤلاء بالنفي والسجن والاغتيال، كاغتيال رئيس بلدية نابلس (بسام الشكعة)، وهو إرهاب الدولة، واشتدت المقاومة وتجلت بانتفاضة الحجارة الأولى مما أربكت السلطات العسكرية، وكان ردها من القساوة كسر عظام المتظاهرين، وموت الكثير برصاص العسكر أو إصابات بالغة بالرصاص المطاطي، زد على ذلك بالسجون التي حوت الآلاف من المعتقلين حيث قيل: (أنه لم يخل بيت في الضفة والقطاع ولم يدخل أحد أفراده السجن).

ومن نشاطات المقاومة بعض منها وما أكثرها، وفي يوم الأرض في 30 آذار الموافق عام 1976 إذ شارك أبناء فلسطين في إضراب عام تضافرت فيه كل الفعاليات، وأطلق عليه يوم المساواة (السلام)، وقد نظمته المناطق المحتلة عام 1948، ولجنة المتابعة للشؤون العامة لعرب إسرائيل، وبدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل الغربي وقد تخللتها أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية رغم تدخل بعض زعماء العرب السياسيون بعدم استفزاز سلطات الاحتلال، إلا أنه مع ذلك برزت شعارات معادية لإسرائيل ومؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية على الجدران في قرى الجليل الأعلى وشفا عمرو وعكا، وباتت ظاهرة رفع الأعلام الفلسطينية خبراً شائعاً تشير إليه الصحف.

وفي منتصف تشرين الثاني أقدمت السلطة الإسرائيلية على تدمير خمسة عشر بيتاً في قرية الطيبة، فأضرب العرب في إسرائيل إضراباً شاملاً وأطلقوا على إضرابهم هذا (يوم السكن)، وقد ازادت الشعارات المعادية للاحتلال في كل مكان من سكان عام 1948 م.

- وفي حزيران عام 1067 احتلت إسرائيل بلدة أم الفحم، وطردت مئات العائلات وحرمتهم العودة إلى منازلهم.

الانتفاضة الأولى:(انتفاضة الحجارة)

كانت انطلاقة الانتفاضة من مخيم جباليا في قطاع غزة في 9آذار 1987إذ قام أهل المخيم وأهل القطاع عموماً بمظاهرات صاخبة أثناء تشييع الشهداء الأربعة الذين سقطوا قرب حاجز إيرز، حيث أطلق الجنود النار في جباليا، فاستشهد شخصان وجرح ستة وعشرون بينهم أطفال، وفرض منع التجول على المخيم، ومن أحيائها تطاير الشرر، وعمت الانتفاضة كل القطاع، ثم امتدت إلى الضفة الغربية. وإزاء المشهد اليومي هبت فلسطين المحتلة كلها تأييداً وتعاوناً، وفي اليوم الثالث عشر للانتفاضة قام إضراب عام لم تشهد البلاد له مثيلاً منذ بدء الاحتلال قبل أربعين سنة، وابتدأ ذلك اليوم التاريخي بتلاوة القرآن الكريم في المساجد، وقرع أجراس الكنائس، وهذا التقليد نضالي معروف عن الآباء والأجداد، ومنذ أن علت أصوات المآذن ونواقيس الكنائس بالرنين. انطلقت الجماهير في هذا اليوم التاريخي في كل

المدن والقرى والمخيمات في الضفة والقطاع تهتف للجهاد في سبيل أحياء فلسطين، كما خرجت جماهير الأرض المحتلة عام 1948في الناصرة وحيفا وعكا وصولاً إلى صحراء النقب، وقد شارك أهلنا في الجولان بهذه الانتفاضة، واصطدموا في مجدل شمس بالشرطة الإسرائيلية، واستمراراً للانتفاضة وفي ذكرى معركة الكرامة في 21 آذار، إذ رفعت أعلام فلسطين، وأقيمت المتاريس في ظل إضراب شامل مثلما جرى في أم الفحم وقلقيلية وتحديهما للحصار العسكري والتمويني الذي فرض عليهما منذ تسعة أيام. وقد تمكنت المجموعات المقاومة بوضع المتاريس المزدانة بالأعلام والشعارات الوطنية، وقد قابلت السلطات الإسرائيلية كعادتها بالعنف والاعتداءات من ملاحقة واعتقالات[2]، وكانت نتائج ما قدمه الفلسطينيون من الضحايا 1162 شهيد، بينهم حوالي 241طفلاً، ونحو 90 ألف جريح ومصاب، و15 ألف معتقلاً، وتدمير 1228 منزلاً، واقتلاع 140 ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية. كما تم اعتقال 60 ألف أسير من القدس والضفة وقطاع غزة وعرب الداخل بالإضافة إلى الأسرى العرب. ولاستيعاب هذا العدد الهائل افتتحت اسرائيل سجون مثل سجن كتسيعوت في صحراء النقب؛ والذي افتتح عام 1988.

وقد قتل من الإسرائيليين 160 قتيلاً بينهم خمسة أطفال. حققت الانتفاضة الأولى نتائج سياسية غير مسبوقة، إذ تم الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني عبر الاعتراف الإسرائيلي الأميركي بسكان الضفة والقدس والقطاع على أنهم جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين.

أدركت إسرائيل أن للاحتلال تأثير سلبي على المجتمع الفلسطيني، كما أن القيادة العسكرية أعلنت عن عدم وجود حل عسكري للصراع مع الفلسطينيين، مما يعني ضرورة البحث عن حل سياسي بالرغم الرفض الذي أبداه رئيس الوزراء إسحاق شامير الذي بحث عن أي تسوية سياسية مع الفلسطينيين. أدت هزيمته لصدام حسين خلال حرب الخليج الثانية إلى ارتياح في داخل المجتمع الإسرائيلي، مما يعني نهاية تهديد محتمل من "الجبهة الشرقية"، واستبعاد فكرة احتمال تشكيل قوات تحالف عربية لمهاجمة إسرائيل، مما أدى إلى تغير الشعور الإسرائيلي بالتهديد، فاكتسبت إسرائيل القدر الكافي من الثقة الذي يمكنها من القيام بمبادرات سياسية أكثر خطراً على العرب؛ عندما قام الابن جورج بوش استخدام نتائج الحرب على نقطة انطلاق لعملية سلام بين العرب والدولة العبرية ودول الجامعة العربية. فجاء مؤتمر مدريد الذي شكل بداية لمفاوضات السلام الثنائية بين العرب وإسرائيل والتشاور مع الفلسطينيين لحكم ذاتي. تم إجراء بعد ذلك عدد من المفاوضات غير العلنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين التي أدت إلى التوصل لاتفاق أوسلو الذي أدى لانسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدأً بغزة أريحا، عام 1994، وتواصل مع باقي المدن الخليل وقلب مدينة القدس، مما يتنافى مع الاتفاق، كان قد سبق التوقيع تبادل عدد من الرسائل بين ياسر عرفات وإسحق رابين، تعترف فيه منظمة التحرير بحق المنظمة بإلغاء الإرهاب، وبحق إسرائيل

بالوجود، المقصود به مقاومة الاحتلال من وجهة النظر الإسرائيلية. في المقابل تلتزم إسرائيل بإيجاد حل سلمي للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي، واعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل الشعب الفلسطيني.

تم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية التي أصبحت لها السيادة مكان الإدارة المدنية الإسرائيلية تنفيذاً للاتفاقات الموقعة. في سبتمبر من عام 1995م، تم توقيع اتفاق جديد سمي بأوسلو2، وتضمن توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني من خلال تشكيل هيئة حكم المجلس الوطني 20 كانون سنة 1965 تم إجراء أول انتخابات رئاسية وتشريعية فلسطينية إلى السلطة الفلسطينية في أغسطس من عام2004، وتم نقل الصلاحيات والمسؤولية إلى ممثلين فلسطينيين في الضفة الغربية في خمسة مجالات محددة: التعليم والثقافة، الصحة، الرفاه الاجتماعي، الضرائب المباشرة والسياحة.

الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)

في مطلع عام 1999 ساد شعور عام بالإحباط عند الفلسطينيين لانتهاء الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي بحسب اتفاقية أوسلو والشعور بخيبة الأمل بسبب المماطلة وجمود المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني بعد مؤتمر قمة كامب ديفيد والتي توضح أن محاولة إسرائيل بدعم من الولايات المتحدة فرض حل على الفلسطينيين بعيداً عن قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية بقراراتها (1944, 338, 242) تلك، إلى جانب عدم تطبيق إسرائيل إلى عدد من الجوانب التي اتفق عليها في أوسلو أو الاتفاقيات والمفاوضات اللاحقة. واستمرار الصهاينة في سياسة الاغتيالات والاعتقالات والاجتياحات لمناطق السلطة الفلسطينية، ورفض الإفراج عن الأسرى، بالإضافة إلى استمرار بناء المستوطنات، واستبعاد عودة اللاجئين، واستبعاد الانسحاب لحدود عام 1967 جعل الفلسطينيين بفشل واستحالة الاتفاق مع الصهاينة، وأن المحادثات مضيعة للوقت.

وفي ظل هذا الشعور العام بالإحباط والاحتقان السياسي قام رئيس وزراء إسرائيل الأسبق آرييل شارون باقتحام المسجد الأقصى، وتجول في ساحاته، وقال أن الحرم القدسي سيبقى منطقة إسرائيلية مما أثار استفزاز المصلين الفلسطينيين، فاندلعت المواجهات بين المصلين وجنود الاحتلال في ساحات المسجد الأقصى، فسقط سبعة شهداء، وجرح 250، وأصيب 13 جندي إسرائيلي، وكانت هذه بداية انتفاضة الأقصى[3].

[3]: الموسوعة الحرة: ويكيبيديا.

بدأت الانتفاضة في 28 /9/ 2000، وتوقفت فعلياً في 2005/2/8 بعد اتفاق الهدنة التي عقدت في شرم الشيخ، والذي جمع الرئيس الفلسطيني الجديد المنتخب حديثاً ورئيس وزراء إسرائيل آرييل شارون. وتميزت هذه الانتفاضة عن سابقاتها بالعنف المسلح وتصاعد الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي، راح ضحيتها 4412 شهيداً فلسطينياً، وجرح 48322 جريح.

وأما خسائر الجيش الإسرائيلي 334 قتيلاً، ومن المستوطنين 735 قتيل، ليصبح مجموع القتلى الصهاينة 1069 قتيل، و4500 جريح، وعطب 50 دبابة من نوع ميركافا، وتدمير عدد من الجيبات العسكرية والمدرعات. وتعرضت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها باجتياحات إسرائيلية منها عملية الدرع الواقي، وأمطار الصيف، والرصاص المصبوب.

من نتائج انتفاضة الأقصى:

- تصفية معظم الصف الأول من القادة الفلسطينيين (ياسر عرفات، أحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي، وأبو علي مصطفى).
- تدمير البنية التحتية الفلسطينية، تدمير مؤسسات السلطة، تدمير ممتلكات المواطنين، واستشهاد عدد كبير من أبناء فلسطين.
- بناء الجدار العازل وآثاره المدمرة على الشعب الفلسطيني المعذب تحت رعاية الأمم المتحدة المنافقة وتبريكات بعض حكام العرب المنبطحين خوازيق الزعامة الصهيونية.
- تطوير المقاومة للصواريخ كمّاً ونوعاً، وفشل إسرائيل في قضائها على المقاومة بتأليب بعض الحكام من العرب ضد المقاومة، وفرض حل على الفلسطينيين حسب مخططات إسرائيل في تصفية القضية، وحرمان أهل فلسطين من حقوقهم وإبادتهم وتذويبهم في المجتمعات الأخرى.

لكن مكرهم سيرتد عليهم والتاريخ لا يرحم المستبدين والعنصريين، وشعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياتهم والعاقبة للمتقين الصابرين.

نتائج انتفاضة الأقصى على الإسرائيليين:

1- انعدام الأمن في الشارع الإسرائيلي بسبب العمليات الاستشهادية.

2- ضرب السياحة في إسرائيل بسبب العمليات العسكرية.

3- اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي (زئيفي) على يد أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

4- إلحاق عدد من القتلى الإسرائيليين بسبب اجتياحات المدن الفلسطينية والاشتباكات مع المقاومة.

5- مقتل قائد وحدات الهبوط المظلي الإسرائيلي (الكوماندوس) في معركة مخيم جنين.

6- تحطيم مقولة الجيش الذي لا يقهر في معركة مخيم جنين الذي قتل فيه 58 جندي إسرائيلي وجرح 1422.

7- ضرب اقتصاد المستوطنات الإسرائيلية لقد تفاعل الشارع العربي مع الانتفاضة. لدرجة أن دولاً لم تعرف المظاهرات مثل دول الخليج خرجت فيها مظاهرات تأييداً للانتفاضة، وهو ما أحرج الأنظمة العربية التي عقدت بعدها مؤتمراتها المنافقة لتخدير الناس ولا زالت.

الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى

حاولت وتحاول إسرائيل توظيف الصراعات العربية بعضهم ببعض فجمدت مفاوضات السلام التي نبذتها ورأت أن الوضع يخدم طموحاتها، وأخذت تسرع بسلخ الأراضي من القرى المراد إقامة المستوطنات عليها ونشط الاستيطان رغم استنكار دول العالم بما فيها الأمم المتحدة ربيبة الاستعمار هذه الأيام، وطاب لحزب الليكود ورئيسه مع الإرهابي الصهيوني نتينياهو وليبرمان العنصري رؤية خذلان القادة العرب وتآمرهم معهم على المكشوف مع عدو العرب، وتعاون مخابراتهم مع من يكرهون شعوبهم إذ أخذ البعض منهم يمارس الضغط على المقاومة الفلسطينية، وينعتهم بالإرهابيين فزادت سلطة الاحتلال من جبروتها، وتابعت عدوانها السافر على الفلسطينيين؛ بزيادة نهب الأراضي، ونسف البيوت، ومهاجمة وتعذيب السكان بالجملة حتى سكان 1948 لم يسلموا من التنكيل باعتبارهم عرب، وأطلقت العنان لعصاباتها من المتشددين العبث بأملاك وأرواح عرب فلسطين بغية تطفيشهم، كحرق البيوت مع ساكنيها، وحرق شجر الزيتون، وقطع أشجار الفواكه، وتجريف التربة، والاعتقال المبرمج للنشيطين، آخرها يوم الجمعة في 14/تموز/2017 إغلاق المسجد الأقصى المبارك الذي يعتبر عند المسلمين أول القبلتين وثالث الحرمين، وتصريحاتهم العدوانية والاستفزازية لأهل فلسطين، وتصميمهم على تهويد كل فلسطين والأمم المتحدة خانعة لا تقوى على نصرة المظلوم بأمر من الولايات المتحدة الأمريكية. والأغرب من ذلك من رؤساء الغرب أنهم يطلقون التصريحات في انتقاد إسرائيل على ما تقوم به، ويتجاهلون ممارسة الرد عليها عملياً. وقد قام شعب فلسطين بالداخل والخارج متحدياً سلطات الاحتلال والتزم المقدسيون واحتشدوا أمام مسجدهم، وأدوا صلاة الجمعة حول أبوابه، واشتبكوا مع القوات الإسرائيلية بصدورهم وأجسادهم وأيديهم الفارغة في مقاومة أسلحة الجنود الفتاكة طالبين الشهادة. ليبرهنوا للعالم أجمع أن حرمة الأقصى أغلى من الروح والجسد، وقابلت سلطات الاحتلال كعادتها هذا التحدي بزيادة العنف بإصابات من قنابل الدخان، والرصاص المطاطي، والاعتقالات، ومضاعفة الجرحى. وشعب القدس صامد ووراءه أهله في فلسطين، لم يعرف الغرب بعد بأن الصهيونية باتت عبئاً عليهم، وقد يأتيهم دور ما حل بالزعامات العربية من ذل واحتقار، حتى قام بعض الساسة في الولايات المتحدة يشعرون بسطوة منظمة (آيباك) الأميركية الصهيونية على الحكم ودورها باحتلال الكونغرس, والبنتاغون ثم البيت الأبيض هذه الأيام.

إن حركة التاريخ عبر الزمان والمكان تثبت لنا بأن الأحداث تتشابه في كثير من الأحيان، ويبقى التغيير في النظم حاصلاً والعدل والمساواة ونبذ الظلم وتحقيق العدل هو سمة البشر ضد الأشرار.

المصادر والمراجع

- الموسوعة الفلسطينية ج1 خاص ص113،عادل عبد السلام.
- تاريخ سورية ولبنان القديم، فيليب حتي.
- الموسوعة الفلسطينية ج2 خاص عبد الكريم رافق.
- النباتات الطبيعية الطبية في بلاد الشام، أحمد عويدات.
- الحيوانات الطبيعية في بلاد الشام، وصفي زكريا.
- الموسوعة الفلسطينية، مجلد 2 خاص، ص 110 أحمد طربين.
- العرب واليهود في التاريخ، د: أحمد سوسة.
- الموسوعة الفلسطينية خاص، ج2 عبد الكريم رافق.
- بلادنا فلسطين الديار النابلسية، ج2، مصطفى الدباغ.
- الموسوعة الحرة ويكبيديا.
- الموسوعة الفلسطينية، ج4 خاصر ص669 فكتور سحاب.
- الموسوعة الفلسطينية، خاص ج4 فكتور سحاب، ص .670.
- الفولكلور الفلسطيني، ج2 نمر سرحان.
- المرجع السابق نفسه.
- الموسوعة الفلسطينية مجلد 4 خاص، ص 669 فكتور سحاب.
- موسوعة أعلام فلسطين- ج2 ، ص: 137، 143، 222. محمد عمر حمادة.
- موسوعة أعلام فلسطين- ج3 ، ص:35، 92. محمد عمر حمادة.
- موسوعة أعلام فلسطين- ج7 ، ص: 85، 142. محمد عمر حمادة.
- موسوعة أعلام فلسطين- ج8. ص: 366.
- الفولكلور الفلسطيني، ج1 نمر سرحان.
- الموسوعة الفلسطينية، خاص ج4 فكتور سحاب.

الفهرس

الإهداء..... 2

مقدمة الناشر 3

تقديم 4

مقدمة 6

الفصل الأول: لـمحـة جغرافـيـة 7

الموقع وأهميته 7

التسمية..... 8

الفصل الثاني: لـمحة تاريـخـيـة..... 16

فلسطين تحت الانتداب..... 21

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية..... 25

الزراعة 25

تربية الحيوانات..... 25

الصناعة وعمل المرأة في البلدة 26

الخدمات في البلدة 28

الفصل الرابع: الحياة الاجتماعية..... 29

الأمثال الشعبية 30

الطب الشعبي 31
المأكولات الشعبية 32
بعض الأدوات المستعملة في البيوت 32
الأصل والنسب 33
الفصل الخامس: التعليم وأعلام بلدة برقة نابلس 36
أعلام بلدة برقة نابلس 38
الفصل السادس: الحياة الاجتماعية الأفراح والأتراح 45
الفصل السابع: ثقافة المقاومة السلمية 53
التمثيل والمسرح 61
الفصل الثامن: مجازر الصهيونية في شعب فلسطين 67
الفصل التاسع: سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة "إسرائيل" 74
الفصل العاشر: انتفاضات شعب فلسطين 81
الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة) 82
الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) 84
الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى 86
المصادر والمراجع 88
الفهرس 89

نبذة عن المؤلف

الشهادات التي يحملها المؤلف:

- ثانوية عامة آداب (اجتماعيات).
- بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية).
- دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق.
- شهادة في التوجيه التربوي أونروا /يونيسكو.
- شهادة تربية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

من مؤلفاته:

1-بلدة كفرسوسة (رسالة جامعية للتخرج).

2-مدينة عكا.

3-قرية إجزم.

4-أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير.

5-الإدارة الأميركية المحافظة تسيس نبوءات التوراة.

6-الإمبريالية المتصهينة التمييز العنصري.

7-مذكراتي.

8-أبحاث قيد النشر

قيد النشر			
مشروع قرى وبلدات فلسطين أصبحت مدنا بالتعاون مع موسوعة القرى الفلسطينية			
الطيبة	أم الفحم	قلقيلية	شفاعمر
برقة نابلس	باقة الشرقية	عرابة البطوف	بيت إمرالخليل
سخنين	طمرة	دالية الكرمل	بعنة
إكسال	طرعان	أبو سنان	أرطاس
أولي الخليل	إذنا الخليل	الرامة	الرينة
بلدة الشيوخ	الفريديس	اللقية النقب	بلدة المشهد
بلدة المغار	باقة الغربية	بدية	برقين
بلاطة نابلس	بلعا طولكرم	بني نعيم	بورين
بيت ساحور	بيت فجار	بيتونيا	بير زيت
ترقونيا	ترمسعيا	تل السبع	جسر الزرقاء
جلجولية	جماعين	جولس	حلحول الخليل
حوارة نابلس	حوارة النقب	دبورية	دير إستيا
دير الأسد	دير حنا	سعير الخليل	سلواد
سنجل	شعب	شعفاط	سقيف سلام
شويكة	صوريف	طمون	طوبا الزنجرية

عبسان	عتيل	عزون	عسفيا
عصيرة الشمالية	عقرباء نابلس	عنبتا	عورتا نابلس
عين ماهل	قبلان النابلسية	قفين	كفر الديك
كفر ثلث	كفر قاسم	كفر قدوم	كفر قرع
كفر كًنا	كفر ياسيف	مجدالكروم	ميثلون
نعلين	عيلبون	كفر راعي	جديدة عكا والمكر
بيت جالا	بيت حنون	بيت حنينا	بيت عمر التحتا
خان يونس	دير البلح	دير دبوان	دير غساني بيت ريما
سلفيت	سيلة الحارثية	سيلة الظهر	طوباس
عارة وعرعرة	عرابة جنين	عرعرة النقب	علار طولكرم
كابول	كفر مندا	بلدة السموع	بني سهيلا
بيت لاهيا	جباليا	دورا الخليل	راهط
رفح	سلوان	طيرة المثلث	قلنسوة
كسيفة	يعبد	يافا الناصرة	يطا